بلاغة النساء
في
حديث أم زرع في الصحيحين

دراسة تحليلية تطبيقية

إعداد الباحث

د. عبد الله عبد الخالق محمد دسوقي

مدرس البلاغة والنقد بكلية الدراسات -

بالديدامون - شرقية

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمدلله رب العالمين له الحمد الحسن والثناء الجميل وصلاة وسلامًا على سيدنا محمد أكرم نبى وأفضل رسول وعلى آله وصحبه أجمعين...

وبعد،،،

فهأنذا أتناول بالبحث البلاغى حديث أم زرع، كيما أكشف عما احتواه من درر وكنوز، ولقد اخترت هذا الحديث؛ لأنه نسيج وحده، فى الموضوع، والأسلوب، فليس له بين الأحاديث النبوية كلها، ضريب ولا مثيل، فموضوع الحديث يدور حول اجتماع تم بين إحدى عشرة امرأة من بلاد اليمن، وهو الأرجح أو من مكة[1] تعاهدن فيما بينهن، ألا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئًا ومن ثم كان تفرده بين الأحاديث قاطبة، وهؤلاء النسوة كن فى عصر الجاهلية، وقد حكت قصتهن عائشة ـ رضى الله عنها ـ للرسول ﷺ أو أن رسول الله ﷺ هو الذى حكاها لعائشة[2]، وهذا الحديث وإن تناوله جمهرة من المحدثين فقد كان جل اهتماماتهم على ما فيه من القضايا الفقهية، واللغوية، لكنهم من الناحية البلاغية كانوا لا يذكرون إلا قليلاً منها ويضربون الذكر صفحا عن كثير من قضاياها، وجل ما لا حظوه فيه، وذلك دأبهم فى

(١) فتح البارى: جـ٩ ١٦٧.

(٢) المصدر السابق: ص١٦٦، ١٦٧.

كل الأحاديث هو الإشارة إلى الأشياء الظاهرة، ومعظمها تعود إلى باب البيان، والبديع، أما مسائل علم المعانى، فقليا يلتفتون إليها ومن هنا كان النصب والعناء، الذى بصاحب كل باحث فى بلاغة الحديث الشريف، وأكثر العلماء بحثا وتنقيبًا فى «حديث أم زرع» هو العالم الحجة القاضى عياض - رحمه الله - فقد أفرد له كتابا خاصًا به سماه «بغية الرائد»، ألم فيه بكثير من قضايا الفقه، واللغة، والبلاغة، ومع ذلك فقد كان مقلاً فى مسائل البلاغة، يكتفى بالمسائل الظاهرة، يعرضها باقتضاب إيمانا منه ربما بمعرفة القارىء بهذه القضايا لذيوعها وشهرتها بين بيئات العرب، لكن الحديث بحق يعد معرضا رائعًا لبلاغة النساء، ونموذجا حسنا لها، وكأنى بهن كن يستعرضن فحولتهن البلاغية، واللغوية، وكأنهن فى سباق لغوى، ومبارزة بلاغية، كل واحدة تبرز كفاءتها، ومهارتها، فى بضاعة الكلام، وسوق الفصاحة وإنى لأعجب ويعجب معى كل قارىء متسائلاً، من أين جاءت لهؤلاء النسوة فى هذا العصر الجاهلى تلك الثروة اللغوية وهذا الاقتدار فى ميدان البلاغة؟ وكيف امتلكن هذه النفائس والملكات البلاغية التى تتقاطر كالشهد على لهواتهن؟. لكن العجب يزول، إذا ما علمنا أن البيئة التى نشأن فيها كانت مفاخرها كل مفاخرها فى تلك اللغة وآدابها، حيث كانت اللغة فى تلك البيئة سليقة والبلاغة سجية، فلا غرو إذن أن تتفتق تلك الألسنة عن تلك الفصاحة العالية، وأن يكون هؤلاء النسوة على هذه الشاكلة.

وعلماء الحديث مختلفون فى رفع الحديث كله، إلى رسول الله ﷺ، بينما تواطأ الجميع على أن قوله ﷺ لعائشة «كنت لك كأبى

زرع لأم زرع» هو ا لمرفوع، وبقية الحديث مختلف فيه، لكن الإمام بن حجر - وهو بحاثة ثبت - يقوى رفعه كله، بحجة قوية لا تقبل الريب، وهو أن رسول الله صلوات الله عليه قد سمع هذه القصة، وعرفها، وأقرها فيكون الحديث مرفوعا من هذه الجهة[1].

وسوف أعرض نص الحديث كما هو فى الصحيحين، ثم أردفه بالتحليل، لكنى فى ثنايا معالجتى له أحيانا أتعرض لروايات أخرى، إن وجدت فيها لمحة بلاغية، تستدعى ذلك والله أسأل أن يجنبنا الخطأ ويرفع عنا إصره وأن يثيبنا به حسنة فى الدنيا وفى الآخره.

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير

الباحث د. عبد الله عبد الخالق محمد

---

(١) فتح البارى: جـ٩، ص١٦٦.

نص الحديث في صحيح البخاري

«عنْ عَبْدِ الله بْنِ عُـرْوة عنْ عُرْوة عنْ عائشة قالتْ جلس إحْدى عشْرة امْرأةً فتعاهدْنَ وتعاقدْنَ أنْ لاَ يكْتُمْنَ منْ أخْبَارِ أزْوَاجِهِنَّ شيْئًا قَالَتْ الأُولَى زَوْجِي لَحْمُ جَمَلٍ غَثٌّ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ لاَ سَهْلٍ فَيُرْتَقَى وَلاَ سَمِينٍ فَيُنْتَقَلُ قَـالَتْ الثَّانِيَةُ زَوْجِي لاَ أَبُثُّ خَبَرَهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ لاَ أَذَرَهُ إِنْ أَذْكُرْهُ أَذْكُرْ عُجَرَهُ وبُجَرَهُ قَالَتْ الثَّالِثَةُ زَوْجِي الْعَشَنَّقُ إِنْ أَنْطِقْ أُطَلَّقْ وَإِنْ أَسْكُتْ أُعَلَّقْ قَالَتْ الرَّابِعَةُ زَوْجِي كَلَيْلِ تِهَامَةَ لاَ حَرٌّ وَلاَ قُرٌّ وَلاَ مَخَافَةَ وَلاَ سَآمَةَ قَالَتْ الْخَامِسَةُ زَوْجِي إِنْ دَخَلَ فَهِدَ وَإِنْ خَرَجَ أَسِدَ وَلاَ يَسْأَلُ عَمَّا عَهِدَ قَالَتْ السَّادِسَةُ زَوْجِي إِنْ أَكَلَ لَفَّ وَإِنْ شَرِبَ اشْتَفَّ وَإِنْ اضْطَجَعَ الْتَفَّ وَلاَ يُولِجُ الْكَفَّ لِيَعْلَمَ الْبَثَّ قَالَتْ السَّابِعَةُ زَوْجِي غَيَايَاءُ أَوْ عَيَايَاءُ طَبَاقَاءُ كُلُّ دَاءٍ لَهُ دَاءٌ شَجَّكِ أَوْ فَلَّكِ أَوْ جَمَعَ كُلًّا لَكِ قَالَتْ الثَّامِنَةُ زَوْجِي الْمَسُّ مَسُّ أَرْنَبٍ وَالرِّيحُ رِيحُ زَرْنَبٍ قَالَتْ التَّاسِعَةُ زَوْجِي رَفِيعُ الْعِمَادِ طَوِيلُ النِّجَادِ عَظِيمُ الرَّمَادِ قَرِيبُ الْبَيْتِ مِنْ النَّادِ قَالَتْ الْعَاشِرَةُ زَوْجِي مَالِكٌ وَمَا مَالِكٌ مَالِكٌ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكِ لَهُ إِبِلٌ كَثِيرَاتُ الْمَبَارِكِ قَلِيلاَتُ الْمَسَارِحِ وَإِذَا سَمِعْنَ صَوْتَ الْمِزْهَرِ أَيْقَنَّ أَنَّهُنَّ هَوَالِكُ قَالَتْ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ زَوْجِي أَبُو زَرْعٍ وَمَا أَبُو زَرْعٍ أَنَاسَ مِنْ حُلِيٍّ أُذُنَيَّ وَمَلأَ مِنْ شَحْمٍ عَضُدَيَّ وَبَجَّحَنِي فَبَجِحَتْ إِلَيَّ نَفْسِي وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةٍ بِشِقٍّ فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ وَدَائِسٍ وَمُنَقٍّ فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلاَ أُقَبَّحُ وَأَرْقُدُ فَأَتَصَبَّحُ وَأَشْرَبُ فَأَتَقَنَّحُ أُمُّ أَبِي زَرْعٍ فَمَا أُمُّ أَبِي زَرْعٍ عُكُومُهَا رَدَاحٌ وَبَيْتُهَا فَسَاحٌ ابْنُ أَبِي زَرْعٍ فَمَا ابْنُ أَبِي

زَرْعٍ مَضْجَعُهُ كَمَسَلِّ شَطْبَةٍ وَيُشْبِعُهُ ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ فَمَا بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ طَوْعُ أَبِيهَا وَطَوْعُ أُمِّهَا وَمِلْءُ كِسَائِهَا وَغَيْظُ جَارَتِهَا جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ فَمَا جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ لاَ تبث حَدِيثَنَا تَبْثِيثًا وَلاَ تُنَقِّثُ مِيرَتَنَا تَنْقِيثًا وَلاَ تَمْلأُ بَيْتَنَا تَعْشِيشًا قَالَتْ خَرَجَ أَبُو زَرْعٍ وَالأَوْطَابُ تُمْخَضُ فَلَقِيَ امْرَأَةً مَعَهَا وَلَدَانِ لَهَا كَالْفَهْدَيْنِ يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمَّانَتَيْنِ فَطَلَّقَنِي وَنَكَحَهَا فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلاً سَرِيًّا رَكِبَ شَرِيًّا وَأَخَذَ خَطِّيًّا وَأَرَاحَ عَلَيَّ نَعَمًا ثَرِيًّا وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا وَقَالَ كُلِي أُمَّ زَرْعٍ وَمِيرِي أَهْلَكِ قَالَتْ فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِيهِ مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آنِيَةِ أَبِي زَرْعٍ قَالَتْ عَائِشَةُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لأُمِّ زَرْعٍ».

هذا نص الحديث كما جاء فى صحيح البخارى ومسلم، واحب أن انوه إلى أن رواية الإمام مسلم لا تختلف عنها فى البخارى إلا فى مواطن ثلاث وهى:

١ـ فى رواية البخارى فى قول الأولى: زوجى لحم جمل غث على رأس جبل، وفى مسلم زيادة كلمة (وعر) اى على رأس جبل وعر.

٢ـ فى قول الثامنة: المس مس أرنب والريح ريح زرنب، فقد انعكس الترتيب فقط فى رواية الإمام مسلم: الريح ريح زرنب والمس مس أرنب.

٣ـ فى قول أم زرع عن زوجها: (فجعلنى فى أهل صهيل واطيط) عند البخارى، وأما عند مسلم فهى (فى أهل صهيل وأطيط).

ومن ثم تعد الروايتان واحدة لا تكاد هذه النقاط الثلاثة تفرق بينهما.

تحليل الحديث بلاغيا:

يبدأ الحديث بهذه العبارة: «جلس إحدى عشرة نسوة» بتذكير الفعل كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ [يوسف: ٣٠]. والنسوة كما يقول الزمخشري: (اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي، كتأنيث اللمة، ولذلك لم يلحق فعله تاء التأنيث)[١].

وقد وردت روايات شتى منها «اجتمعن»، أجتمعت ولكل هذه الروايات أوجه إعرابية مبسوطة في كتب النحاة ومن شاء البسط فيها فلينظر ما قاله القاضي عياض في ذلك[٢] وإذا كانت القاعدة النحوية، تجوز ذلك التنوع، فإن البلاغة تمضي مع النحو في مضمار واحد، فإذا كانت العبارة جلس بالتذكير ففيها إشعار بما بلغته جماعة النساء هؤلاء من صراحة وجرأة، كشجاعة الرجال في حديثهن، وكأنهن قد استوين مع الرجال في هذه الصراحة وقلما تجد امرأة على ذلك النحو.

وأما على رواية «اجتمعن»، أو «جلسن» على لغة أكلوني البراغيث فلها - وإن قلّت - من القرآن شاهد في قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنبياء: ٣] وفي الحديث الشريف في قوله ﷺ: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار»[٣] قال الإمام النووي

(١) الكشاف: جـ٢، ص٢٥٢.

(٢) انظر: ص٢٩، ٣٠ من كتاب بغية الرائد.

(٣) انظر صحيح مسلم: جـ٣، ص١٤٣.

فى شرحه: (يجوز إظهار ضمير الجمع والتثنية فى الفعل إذا تقدم وهى لغة بنى الحارث)[1] لكن الأشهر هو توحيد الفعل، كما هى رواية الصحيحين، ورواية الإتيان بالضمير كما فى «اجتمعن»، و«جلسن»، مع قلتها فيها من البلاغة، تأكيد الإسناد حيث أسند مرتين، مرة إلى الضمير، ومرة إلى الاسم الظاهر، وعبارة «فتعاهدن وتعاقدن» تعنى إلزام أنفسهن بالقول وأما العقد فعلى الصدق والوفاء بما فى الضمائر.

والأصل أن العهد والعقد فى اللغة بمعنى واحد، وهذا منسوب إلى الخليل وابن دريد، ونفطويه، وكله يعني التوثيق[2].

لكن هناك فارقا دقيقاً لا مندوحة منه يبين الفعلين، فالعهد عند الراغب: حفظ الشيء، ومراعاته، حالا بعد حال، والعقد الجمع بين أطراف الشيء ويستعمل فى الأجسام الصلبة ويستعار للمعانى[3]، وعلى هذا ففى الفعل تعاقدن: استعارة تبعية، حيث شبه اتفاقهن على الصدق بعقد الحبل، ثم اشتق من العقد الفعل «تعاقدن» وأثر الاستعارة بارز فى تصوير المعنوى فى صورة الشيء المحس، توضيحًا له «فكان هؤلاء النسوة ربطن على الصدق قولهن الظاهر، بإخلاصهن الباطن[4] وعطف الفعل الأول بالفاء دال على السرعة، والحسم السريع لتلك القضية بلا تراخ زمنى.

وأما العطف بالواو بين الفعلين «تعاهدن وتعاقدن»، فهو دال على توكيد مضمون الكلام، وتوثيقه، بحيث لا تشذ واحدة منهن عن هذا

(١) المصدر السابق: ص١٤٥.

(٢) بغية الرائد: ص٤٤.

(٣) انظر مفردات الراغب: ص٣٥٠.

(٤) بغية الرائد: ٤٤.

الالتزام، وعلام تعاهدن وتعاقدن؟ على «ألا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئًا»، والمصدر المؤول: «ألا يكتمن» منصوب على نزع الخافض، وهو أمر شائع عند النحاة، لكنه يشير بإيجاز ذلك الحذف، إلى عدم اللغو منهن، ووضع الكلمة في نصابها، وانهن يكلن كلامهن، لبلاغتهن إلى زكانة المتلقى، وكانهن يستعرضن فحولتهن في باب الفصاحة وتنكير المفعول «شيئًا»، يوحى بالقلة اى إنهن لن يتركن أى خبر، ولو كان قليلاً، من باب الأمانة والصدق في القول، وقد تعاهدن عليه، وهذا ديدن النساء في مثل هذه الأمور، يقتفين الأخبار حتى لا يتركن منها شاردة ولا واردة، وتاخير المفعول «شيئًا» عن المتعلقات «من أخبار أزواجهن» أبلغ، حيث قدم الأهم، فالذى يشغل وجدانهن هى أولاً تلك الأخبار.

قالت الأولى: «زوجى لحم جمل غث، على رأس جبل، لا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقل»، **والغث هو**: المهزول، **وينتقل**: بمعنى النقل اى «لا يأتى إليه أحد، لصعوبة المسلك، ولا يؤتى به إلى أحد أى لا ينقله الناس إلى بيوتهم، لرداءته»[1] وفى رواية: «فينتقى» من النقى بكسر النون وهو المخ، أى ليس له نقى، أى: مخ فيطلب لأجل ما فيه[2] والإضافة فى قولهن جميعًا «زوجى»، تذهب إلى الاختصار فليس للزوجة طريق أخصر، من هذه الإضافة كذلك فهى تغنى عن تفصيل أمر متعذر، وهاتان غايتان بلاغيتان من أسباب تعريف المسند إليه بالإضافة[3].

---

(١) شرح البخارى للكرمانى: جـ١٩، ص١٣٢.

(٢) بغية الرائد: ص٤٧.

(٣) بغية الإيضاح: جـ١، ص١١٦.

وهذا أسمى فى الكلام، وأبعد عن الحرج من أن تصرح باسم زوجها، وقولها «لحم جمل غث» خبر للمبتدأ «زوجى» وهى مبنية على التشبيه البليغ، أى: محذوف الأداة والوجه، وهذا يقرب الشبه بين المشبه والمشبه به، حتى كأنهما شيء واحد يقول صاحب الرسالة البيانية عن حذفهما إنه (يوقع فى الخيال اتحاد الطرفين، أما حذف الوجه؛ فلأنه يشعر بأن اشتراك الطرفين ليس فى صفة واحدة فقط بل فى جميع الصفات، وعند ذكره لا يجوز التجاوز عما ذكر، وأما حذف الأداة؛ فلأنه يقتضى أن يحمل المشبه به على المشبه، بطريق المواطأة، ففى حذفهما، تحقق دعوى الاتحاد بلا شائبة)[1] وإضافة لحم إلى «جمل» أفادت الاختصاص، وتنكير «جمل» يوحى بحقارته، وقلة جدواه، قال أبو سعيد النيسابورى ليس شيء أخبث غثاثة من لحم الجمل؛ لأنه قليل الخير لا كلحم الضان، ثم زادت قلة خيره بنعت هذا اللحم، بأنه غث، أى مهزول ردىء[2]، وقولها على رأس جبل، وعند مسلم «جبل وعر»، وفى رواية أخرى «جبل وعث» أى صعب المرتقى، وهذه الرواية أوفق للسجع[3].

هذه المرأة شبهت بخل زوجها، وأنه لا ينال ما عنده مع شراسة خلقه، وكبر نفسه، بلحم الجمل الغث، على راس الجبل الوعث، فشبهت وعورة خلقه بوعورة الجبل، وبعد خيره ببعد اللحم على رأسه، والزهد فيما يرجى منه، لقلته وتعذره بالزهد فى لحم الجمل

(١) حاشية الأمبابى على الرسالة البيانية: ص٤٠.

(٢) عمدة القارى: جـ٢٠، ص١٧٠.

(٣) بغية الرائد: ص١٨٩.

الغث، يقول القاضي عياض عن هذا التشبيه إن المرأة «أعطت التشبيه حقه، ووفته قسطه وهذا من تشبيه الخفي بالجلي»[1] ولا يبعد ما قاله القاضي عياض، عما قاله الإمام الخطابي من أن هذا التشبيه يفيد سوء خلق الزوج، وأنه مترفع متكبر بسمو بنفسه فوق موضعها[2].

ومثل ذلك قال الإمام النووي - رحمه الله - في شرحه لصحيح مسلم[3] وحين تتأمل عبارة هذه الزوجة، نجدها قد امتلكت ناصية البلاغة حيث توافر فيها جم كثير من المحسنات اللفظية، والمعنوية، ففيها المماثلة وهي عبارة عن تماثل ألفاظ الكلام، في الوزن دون التقفية، وتسمى الترصيع[4]، ناهيك عن الجناس المضارع، بين جمل وجبل، فقد جاء عفو الخاطر، لا تعمل فيه حاملاً في أطوائه، نغما جاذبا للمعنى، مقرا له، في نفس السامع، كما أن في الجناس إصغاء للمعنى، وتشوفًا إليه، لا سيما والخداع والتمويه جزء لا يتجزأ منه، من حيث إيهامه النقص، لكنه على النقيض يعطي المعنى حقه[5] كما ازدان كلامها بحسن التفسير وبراعة التقسيم، وحمل اللفظ على اللفظ والمعنى على المعنى وهذا ماثل في قولها: «لا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقل» وهذا التفسير: نوع من الإطناب؛ لأنه تفصيل لسابقه.

كذلك نجد في عبارة هذه الزوجة من المحسنات لزوم ما لا يلزم في سجعتها في قولها في إحدى روايات الحديث: «يرتقي وينتقي» ومن

---

(١) بغية الرائد ص١٨٩.

(٢) عمدة القارىء: جـ٢٠، ص١٧٠.

(٣) صحيح مسلم: جـ٨، ص٢٣٠.

(٤) الطراز للعلوي: ص٣٧٨.

(٥) انظر أسرار البلاغة: ص٥ وعروس الأفراح: جـ٤، ص٤١٢.

البدهي أن هذا اللون من المحسنات قد عرف به أبو العلاء المعري، وأصبح علما عليه وهو ضرب ينبيء عن تفوق، ومهارة، وإجادة، وتحكم في سوق الكلام، وجريانه، وهو عظيم إن جاء طوع الخاطر، دون تكلف له، ولا شك أن أبا العلاء كان السباق إلى استخدام هذا اللون الجمالي، والماهر في فنه، حتى صار في يده «أداة فنية ملائمة لشاعر وهب من مقومات الشاعرية - طبعا واكتسابا - هياه لمزاحمة الفحول، ومناطحتهم»[1].

ولو أضفنا إلى رواية الصحيحين، رواية الزبير بن بكار «على رأس جبل وعث»، أي الصعب المرتقى، لوجدناها قد اشتملت على نوع من الإطناب، ألا وهو «الإيغال» وقد عرفه ابن أبي الأصبع بقوله: (أن يستكمل الشاعر معنى بيته بتمامه، قبل أن يأتي بقافيته)[2] ولا شك أن وجود «غث ووعث» قد أفادت التناهي في غاية الوصف[3].

وإذا تركنا الزوجة الأولى إلى الثانية نراها تصف زوجها بقولها: «زوجي لا أبث خبره، إني أخاف ألا أذره، إن أذكره أذكر عجره وبجره» ومعنى **لا أبث خبره** أي: لا أتحدث عنه، ولا أظهره، ومعنى **إني أخاف ألا أذره** أي: أخاف ألا أترك من حديثه شيئًا فالضمير المفعول في الفعل «أذره»، راجع إلى الخبر، أي: «إنه لطوله وكثرته، إن بدأته لم أقدر على تكميله»، وقيل إن الضمير عائد على الزوج، وكأنها خافت أن يفارقها، إذا ذكرتِ ذلك عنه، حين يصل إلى أسماعه

---

(١) لزوميات أبي العلاء رؤية بلاغية نقدية: د. إبراهيم الحولي ص١٠٣.

(٢) تحرير التحبير لابن ابي الأصبع: ص٢٣٢.

(٣) بغية الرائد: ص٢٠١.

قولها، وقد رجح جل العلماء عودة الضمير على الزوج[1] وعجره وبجره: لها معان كثيرة، ألم بها الإمام ابن حجر فى الفتح - رحمه الله - لكننا نختار منها ما يناسب المقام، وما هو ألصق بالمعنى المراد، وهو ما قاله الإمام الخطابى - عليه رحمة الله - (أرادت عيوبه الظاهرة، وأسراره الكامنة)، قال ولعله كان مستور الظاهر، ردىء الباطن، وقال أبو سعيد الضرير: (عنت أن زوجها كثير المعايب، منعقد النفس من المكارم »[2] وقد تساءل الشيخ الكرمانى أحد شراح البخارى قائلاً: « فإن قلت لم خالفت عهدها، حيث تعاهدن على ألا يكتمن شيئًا من أخبارهم، قلت قد ذكرت حيث قالت: أخاف أن يطلقنى، وأنه صاحب عيوب، مع أنه لا محذور فيه، إذا لم يثبت إسلامهن، حتى يجب عليهن الوفاء بالعقود »[3].

وإذا تأملنا كلام هذه الزوجة ألفيناه موجزًا، إيجازا واضحا، وقع فى محز المعنى، ذلك لأنها تبين عن عيوب زوجها فلا مناص لها حينئذ من الإيجاز، وهو أبلغ فى مقامه، والكلام مؤكد بتقديم المسند إليه، وتكرار الإسناد فى الفعل، وفى الجملة الثانية: جاء التأكيد بإن والعبارة الأخيرة كنايه عن عيوب الزوج، الكثيرة والمتنوعة، ما بين الظاهرة والخفية، وقد أحسنت هذه الزوجة بتلك الكناية إحسانا، إذ الموقف لا يتطلب التشنيع، والصراحة، وأولى به ثم أولى تلك الكناية، بما فيها من تلميح وإشارة إلى ا لمعانى، من وراء ستار، مؤكدة له بما استصحبته

---

(١) فتح البارى: جـ٩، ص١٦٩، إكمال المعلم: جـ٨، ص٤٥٧.

(٢) ينظر فتح البارى: جـ٩، ص١٦٩.

(٣) البخارى شرح الكرمانى: جـ١٩، ص١٣٣.

من الدليل عليها ومع ذلك كله، حليت العبارة بالجناس الناقص المضارع، بين كلمتي «عجره وبجره» وقد جاء سلسا غير مكره في موضعه، وأضفى على الكلام رونقًا وبهاء.

ثم نأتي إلى الزوجة الثالثة، واصفة زوجها بقولها: «زوجي العشنق إن أنطق أطلق، وإن أسكت أعلق»، وكلمة «العشنق» إن تكُ غريبة وحشية، على ألسنتنا - نحن أبناء هذا العصر - فهي لم تكن غريبة، على الزوجة، ولا على عصرها، وتلك هي اللغة تموت وتحيا، تموت بهجر قومها لها، حتى يأتي عليها يوم، وقد غابت عن أخلادهم، وفرت من ألسنتهم، والدليل على ذلك مثل هذا الكلام، فلو كانت كلمة «العشنق» غريبة عن عصرها، ما كان لها أن تستخدمها. ومعنى العشنق قد اختلف العلماء فيه، فمنهم من قال: إنه الطويل، ومنهم من قال: إنه المذموم طوله، ومنهم من قال: إنه الصقر المقدام من الرجال[1]، ومن العلماء من قال إن العبارة تدور حول ذم زوجها، أرادت أن تمدح خلقه وتذم خلقه، فكأنها قالت إنه منظر بلا مخبر، ومنهم من يرى أن العبارة للمدح، قال أبو سعيد الضرير: «إن العشنق الطويل النجيب، الذى يملك أمر نفسه، ولا تحكم النساء فيه، بل يحكم فيهن بما يشاء، فزوجته تهاب أن تنطق بحضرته، فهي تسكت» وقال الزمخشري: هي من الشكاية البليغة، ويحتمل أنها أرادت أنه أهوج، لا يستقر على حال، كالسنان الشديد الحده[2].

(١) بغية الرائد: ص٦٣، فتح الباري: جـ٩، ص١٧٠.

(٢) فتح الباري: جـ٩، ص١٧٠ بتصرف.

وقولها: «إن أنطق أطلق، وإن أسكت أعلق» مرادها منه أنها إن ذكرت عيوبه طلقها وإن سكتت تركها معلقة، لا هي أيم، ولا ذات بعل، ومنه قوله تعالى: ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾[1] [النساء:١٢٩].

وإذا نظرنا في كلام هذه الزوجة، من الزاوية البلاغية، وجدناه موجزا، يحمل المعاني الكثيرة، في تلك الكلمات القليلة، وقد أحسنت في استخدام «إن» الشرطية، حيث إنها توحي بالشك والتوجس، والحذر المرتقب، والخوف الشديد من سطوة زوجها وكم للرجال من قهر وغلبة أذلت أعناق النساء، وفي قولها «أعلق» استعارة تبعية في الفعل حيث شبه المرأة التي تعيش مكروهة من زوجها، غير مطلقة، فلا هي آخذة حقها، ولا هي مطلقة السراح تنعم بحريتها شبه تلك المرأة بالشيء المعلق، الذي ليس بمطمئن الثبوت، لافي علوه ولا في سفله، وهذه الاستعارة موضحة لحال تلك الزوجة في حال إغضائها عما يفعله زوجها، وعدم البوح بجرائره ومثالبه.

ولا ننسى خلابة السجع، وما فيه من سحر، يوطد المعنى في الأذن، بما يمنحه من لذة النغم، وحلاوة العبارة، كذلك الطباق الجميل، بين النطق والسكوت، وهو طباق موضح للمعنى أيما توضيح، بما جمع من المعنى ونقيضه، فكشف عنه الحجاب وبينه تبيننا.

وإذا انتقلنا إلى الزوجة الرابعة، نسمعها تصف زوجها مادحة إياه، مدحا جليلاً، حين تقول: «زوجي كليل تهامة لا حر، ولا قر ولا

(١) إكمال العلم: جـ٧، ص٤٥٨، شرح السنة للبغوي: جـ٩، ص١٧٣.

مخافة، ولا سآمة» والعبارة سلسة واضحة المعنى حلوة المشرب دالة على أن زوجها رجل جميل العشرة، معتدل الحال، سليم الباطن، لا يصيبها منه أذى ولا مكروه، وهى آمنة من شره، وإذا تأملنا فى بلاغة هذا الأسلوب، وجدنا فيه من البيان، ذلك التشبيه، الذى استوحته من البيئة التى تعرفها فاختارت المشبه به ليل تهامه؛ «لأن تهامة كما يقول القاضى عياض» ليلها لا قر فيه، أى ليس فيه رياح باردة شديدة، ولا حر، لأن برد الليل على كل حال يطفيه، وبكسر سورته فهى معتدلة وبلاد الحجاز موصوفة بطيب الليل، والأصائل والظلال، وقد أكثر فى ذلك شعراؤهم ومنه قول بعضهم:

ألم تعلمـــا أن المصلى مكانه

وأن العقيق ذا الظلال وذا البرد[1]

وأن بهـــا لو تعلمـــان أصـــائلاً

وليلا رقيقا مثل حاشية البرد

وهذا تشبيه مجمل مرسل، أى إنه محذوف الوجه، لكن الأداة موجودة فيه، ولما كان التشبيه كما يقول الأستاذ على الجندى «يتفاوت فى المبالغة قوة، وضعفا باعتبار ذكر هذه الأركان كلها أو بعضها[2] كان التشبيه الذى معنا فيه من القوة حذف الوجه، وإن دلت عليه بقولها: «لا حر ولا قر» فالعبارة كاشفة عن وجه الشبه وهو

(١) بغية المرتاد: ص٦٨، ٦٩.

(٢) فن التشبيه: جـ٢، ص٢٩٤.

الاعتدال ومن المحسنات البديعية نجد العبارة مزدانة بالسجع، وهو قاسم مشترك بين الزوجات جميعا، وكذلك الطباق بين الحر والقر، وهو موضح للمعنى مقر له فى الذهن، وفوق ذلك نجد الإطناب، متمثلاً فى التفصيل بعد الإجمال، في قولها: لا حر ولا قر، فقد أجادت به تفسير ذلك التشبيه، وتوضحيه.

وإذا ذهبنا إلى الزوجة الخامسة: وجدناها تقول فى وصف زوجها: «زوجى إن دخل فهد، وإن خرج أسد، ولا يسأل عما عهد» وقد اختلف العلماء فى توجيه المراد فى قولها: «إن دخل فهد»، ماذا تريد بمشابهتها لزوجها بالفهد؟ أهو فى نومه ووثوبه، أو فى غضبه؟ وذلك أن الفهد إذا وثب على فريسة، لا يتنفس حتى ينالها[1] فهل هذا التشبيه مراد به مدح زوجها، أو ذمه؟ قالوا إن ذلك للمدح، يعنى: أنه إذا دخل بيته، يكون معرضا عما تلف من ماله ولا يتفقد ما ذهب منه[2]، كأنه لكرمه وسخائه، لا يحفل بما أنفقته زوجه منه، وقد عرض القاضى عياض آراء العلماء الذين تناولوا هذا الحديث، وبين أن منهم من قال إن العبارة تحتمل المدح من وجه آخر، وهو التشبيه بالفهد من ناحية الاكتساب والعمل، فقد قالوا: أكسب من فهد، لكنه يقول إن الأرجح هو الرأى الأول[3]، ومن العلماء من قال إن العبارة تتجه إلى الذم، حيث تريد وصف زوجها بالبطش بها، أو المبادرة إلى

---

(١) إرشاد الساري: جـ٨، ص٨٣.

(٢) ينظر ارشاد الساري: جـ٨، ص٨٣، بغية الرائد: ص٧٣، ٧٤. وشرح السنة للبغوى: جـ٩، ص١٧٣.

(٣) بغية الرائد: ص٧٠.

جماعها[1]، لكن جل العلماء يبممون بالعبارة شطر المديح والإطراء. وفى العبارة من البيان تلك الاستعارة التبعية فى الفعلين فهد وأسد، حاملة ما فى الفهد من صفاته، التى ذكرتها آنفًا إلى الزوج، وما فى الأسد من صفات الشجاعة، والبأس، إليه أيضًا، والعبارة مبنية كأخواتها، على السجع لتشيع بجرسه فى الأذن جوا من الطرب بالمعنى، والأنس به، وفيها المقابلة بين الجملة الأولى: إن دخل فهد، وبين الثانية وهى: وإن خرج أسد وقد عبر عنها القاضى عياض بالمطابقة المعنوية[2].

وأما قولها: ولا يسأل عما عهد: فهو قول يحتمل المدح والذم فالمدح: على أنه شديد الكرم، يتغاضى عما تبذله زوجه من مال، وهذا ديدن أهل السخاء، كما أن العبارة تحمل معنى التسامح، فيما يراه من عيوب زوجه، وأما الذم فوجهه: أنه لا يبالى بشأنها ولا يهتم بحالها من المرض والإعواز، وغير ذلك، واحتمال الكلام معنيين يدخل فى باب التوجيه، فى العرف البلاغى ويسمى محتمل الضدين وهو إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين[3] وسر جماله أنه باعث على التأمل والتنقير فى المعنى حتى يقف القارىء على سره، كما أن فيه نشوة ولذة يستمتع بها قارؤه، وهو باب من أبواب البراعة لا يؤتاه إلا من كان ذا حظ عظيم، وقدم راسخة فى دنيا البلاغة.

---

(١) بغية الرائد: ص٧٠.

(٢) ينظر عمدة القارى للإمام العينى: جـ٢٠، ص١٧١.

(٣) شرح المختصر لسعد الدين: جـ٢، ص١٨٣.

وأما الزوجة السادسة فهى تقول فى زوجها: «زوجى إن أكل لف، وإن شرب اشتف، وإن اضطجع التف، ولا يولج الكف، ليعلم البث والمقصود باللف: هو الإكثار من الطعام، أى: إن زوجها رجل نهم شره إلى الطعام إن أكل لا يبقى على شيء. ومعنى إن شرب اشتف أى: استقصى الشراب ماخوذ من الشفافة وهى البقية تبقى فى الإناء[1]، ومعنى إن اضطجع التف: أى إذا رقد تلفف بكسائه، وانقبض عن أهله، إعراضا ومن أجل ذلك تبدو الزوجة حزينة مكتئبة، ومعنى قولها: ولا يولج الكف ليعلم البث: والبث هو الحزن ويطلق على المرض أى: لا يتعهدها، ولا يسال عنها، فهو قليل الحدب عليها، وقال أبو عبيدة كان فى جسدها عيب، فكان لا يدخل يده فى ثوبها، ليلمس ذلك العيب، لئلا يشق عليها، فمدحته بذلك[2] لكن ابن قتيبة ـ رحمه الله ـ تعقبه مستدركًا عليه بقوله: «بأنها قد ذمته فى صدر الكلام، فكيف تمدحه فى آخره[3] وهذا هو الأصوب فى نظرى.

ولا سيما وقد تواطأ على هذا الرأى جماعة من العلماء ثقات من أمثال القتبى والخطابى، وابن حبيب، وابن الأعرابى وغيرهم، وأما القاضى عياض فقد ناصر أبا عبيدة فيما ذهب إليه، محتجا بأن هؤلاء النسوة قد تعاقدن على عدم التكتم على شيء، من أخبار أزواجهن، فمنهن من أطرت زوجها فى كل أحواله، ومنهن من ذمته فيما يذم، وأثنت عليه فيما هو أهل له، ومنهن من ذمته مطلقًا[4] ومراد الزوجة

---

(١) ينظر لسان العرب: مادة شف.

(٢) فتح البارى: جـ٩، ص١٧٢.

(٣) ارشاد السارى: جـ٨، ص٨٤.

(٤) بغية الرائد: ص٨٩.

في عبلراتها الثلاث: أن تصف زوجها باللؤم، والبخل، وسوء العشرة لأهله، والنهمة في الأكل والشراب، ولننظر إلى العبارة من الزاوية البلاغية، لنرى الكناية سارية فيها آخذة بحجزها ففي قولها: «ولا يولج الكف ليعلم» كناية عن ترك ملاعبتها، أو ترك معاشرتها، ويؤيد ذلك أن العرب كثيراً ما يستعملون هذه الكناية عن ترك الجماع، وقد تكون كناية عن إهماله لها، وجفائه إياها[1] وقد جارت هذه الزوجة أخواتها في لزوم التسجيع ولزوم ما لا يلزم فيه، إعلانا منها وإدلالا بمهارتها البلاغية، كما تجد في عبارتها محسناً آخر وهو مراعاة النظير في الأكل والشرب.

وإذا ما تركنا هذه الزوجة إلى أخرى وهي الزوجة السابعة، وجدناها تتفق وسابقتها في هجو زوجها، وإبراز معايبه، بصورة أكثر صراحة، وأشد حدة، حيث تقول: «زوجي عياياء أو غياياء طبقاقاء، كل داء له داء، شجك أو فلك، أو جمع كلالك وعبارة هذه الزوجة أكثر غرابة من سابقتها، فالعياياء كلمة لها عدة معان، منها الأحمق أو الجاهل، فكأنه مغطى لجهله، كما يقول الزمخشري أو مأخوذة من الغياية بمعنى: الظلمة، كأنه متخبط في حياته لا يهتدي إلى مسلك، أو من الغي بمعنى الانهماك في الشر، أو الذي تعييه مباضعة النساء[2]، والغياياء لا تبعد كثيراً عن معنى العياياء، وقال الكرماني في حرف العطف «أو»، قد يكون شكا من الراوي، أو هو تنويع من الزوجة

---

(١) فتح الباري: جـ٩، ص١٧٢.

(٢) ينظر فتح الباري: جـ٩، ص١٧٢، وبغية الرائد: ص٨٨، ٨٩، وإرشاد الساري: جـ٨، ص٨٥.

القائلة[1]. ومعنى طباقاء: الأحمق، أو الذى لا يحسن الضراب أو من يثقل صدره عند مجامعة النساء، أو الذى تنطبق عليه أموره[2]، وقيل الذى يعجز عن الكلام فتنطبق شفتاه[3]، ثم أردفت الزوجة فى وصف زوجها قائلة: كل داء له داء، ومعناه: أن كل عيب فى الناس موجود فيه، أو أن كل داء فيه، فى غاية التناهى، ومعنى شجك أى جرحك فى الرأس، وفلك: أى جرحك فى جسدك، ويحتمل أن يكون المراد بفلك: أخذ كل ما لديك بسلاطة لسانه، وخصومته ولدده، وأوفى قوله: أو جمع كلالك: للتقسيم لا للتخيير، وقال الزمخشرى يحتمل أن تكون أرادته أنه ضروب للنساء، فإذا ضرب إما أن يكسر عظما، أو يشج رأسًا، أو بجمعهما[4] وهذه العبارات كلها تعرب عن صفات الحمق، والتناهى فى جميع العيوب، والنقائص، التى لازمت زوجها، كذلك تعرب عن سوء عشرته مع الأهل، وعجزه عن قضاء وطرها وشدة إيذائه لها.

ومن جمال عبارة هذه الزوجة ما فيها من بديع الإشارة التى عرضها صاحب الصناعتين بقوله: أن يكون اللفظ القليل، مشارا به إلى معان كثيرة بإيماء إليها ولمحة تدل عليها»[5] وذلك فى قولها: «كل داء له داء» فقد أشارت بهذا اللفظ القليل إلى اجتماع جميع النقائص فى

---

(١) شرح البخارى للكرمانى: جـ١٩، ص١٣٤.

(٢) فتح البارى: جـ٩، ص١٧٣، صحيح مسلم: جـ٨، ص٢٣٢.

(٣) المصدر السابق والصفحة نفسها.

(٤) فتح البارى: جـ٩، ص١٧٣.

(٥) كتاب الصناعين: ص٣٧٣.

زوجها، والإيجاز فى ذلك الموضع خير وأجدى من الإطناب، ومن المحسنات البديعية، نجد ـ كما أسلفت القول ـ السجع ملازما للعبارات كلها، كما نرى الجناس الناقص بين عياياء وغياياء، وكلاهما محسن لفظى، يشوف النفس إلى المعنى، من خلال موسيقاه الطلية العذبة، كما نرى الترصيع باديا فى العبارة، أو ما يسمى بالموازنة وهى تتمثل فى توازن الكلمات، وتعادل الألفاظ فى الجمل، فى السجع والتجزئة[1] وأثرها فى الكلام مثل السجع تماما، لأن كليهما محسن لفظى.

وهذه هى الزوجة الثامنة تقول عن زوجها مادحة إياه: «زوجى المس مس أرنب، والريح ريح زرنب»، والزرنب: نبت طيب الريح، قال بن السكيت نوع من أنواع الطيب وقيل الزعفران[2]. واللام فى كلمتى المس والريح، نائبة عن الضمير العائد على الزوج، والمعنى مسه، وريحه، أو فيها إيجاز بالحذف، على تقدير المس منه، والريح منه، والعبارة واضحة المعنى، وضوح الشمس فى رأد الضحى، فهى تصف زوجها بلين العريكة «كأنه الأرنب فى نعومته وملاسته، وهو فى طيب عرفه، وفوح ثنائه كالزرنب، ويفضل الزمخشرى أن يكون المعنى «لين بشرته»، وطيب عرف جسده[3] وكل ذلك ملاحظ فى هذا التشبيه البليغ، فى قولها: المس مس أرنب، والريح ريح زرنب، ولا شك أنها اختارت المشبه به، من البيئة التى تعايشها، فالأرنب والزرنب، من

---

(١) تحرير التحبير: ص٣٨٦.

(٢) الفائق للزمخشرى: جـ٣، ص٥١.

(٣) المصدر السابق والصفحة نفسها.

الأشياء المعهودة في بيئة العرب، لكنها أحسنت الاختيار فما وقع حسها إلا على أقوى المشبهات بها، وأتمها في وجه الشبه، وقال الإمام العيني إن العبارة كلها كناية، عن حسن خلقه، ولين جانبه، وطيب حديثه، وحسن الثناء عليه[1]، وهذا صحيح، ولا يتعارض البتة مع ما فيه من تشبيه، لأن التشبيه يتعرض لتلك الجزئية: المس مس أرنب»، لكن المعنى المقصود من وراء هذا الجزء، هو الذى وعاه الإمام العينى، والتفت إليه، بثاقب فكره، وقلما يلتقى التشبيه مع الكناية، لأن الأول يتكىء على الوضوح، والثانية تعتمد الخفاء والإشارة إليه من بعيد.

ومن المحسنات البديعية فى عبارة هذه الزوجة، نجد السجع، ولزوم ما لا يلزم فيه، حيث إنها لم تكتف بالحرف الأخير، واتفاقه مع غيره فحسب، للوصول إلى السجع، وإنما زادت فى التزامها حرفين آخرين، وهذا بلاغ منها ببراعتها البلاغية، وإذا أضفنا إلى رواية الصحيحين، قولها: «وأنا أغلبه والناس يغلب»، ألفينا فيها تقديم المفعول وهو «الناس»، على الفعل والفاعل، من أجل تمام السجعة أولاً، ثم قصدت من وراء هذا التقديم أن تبين مدى اهتمامها بشأن المتقدم، وهو بيان شجاعة ذلك الزوج، وبأسه، وكأن ذلك صار ديدنا له ويقول القاضى عياض إن في العبارة تتميما؛ لأنها - على حد قوله - (لو اقتصرت على قولها: وأغلبه - لما كان مدحًا ولتخيل أنه جبان ضعيف، فلما قالت: «والناس يغلب»، دل على أن غلبها إياه من حسن عشرته، وكرم

(٢) عمدة القارى: جـ٢٠، ص١٧٢.

سجاياه »[1] والحق أن ذلك ليس تتميما إلا على طريق التساهل فى العبارة، لكنه عند التدقيق احتراس؛ لأن التتميم يأتى فضلة زائدة تعطى للمعنى حسنا، بحيث لو حذفت صار الكلام مبتذلاً ساقطا، أما الاحتراس فهو يأتى فى كلام يوهم خلاف المقصود، بما يدفع ذلك الوهم[2] وعلى هذا تكون عبارة الزوجة « والناس يغلب »، داخلة فى باب الاحتراس وليس التتميم، وهذا هو الذى ارتآه ابن أبى الأصبع عند تحريره لهذه العبارة فى باب الاحتراس[3] وهو الرأى الصواب.

وفى عبارة الزوجة من المحسنات: المطابقة بين قولها: وأنا أغلبه وبين ما بعدها « والناس يغلب »، وهى مطابقة وضحت موقف هذا الزوج، بين زوجته وبين الناس، توضيحا تاما وأظهرت الفارق بينهما فى موقف المغلوب لها أريحية نفس، وسجاحة خلق، كما قال معاوية: « يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام »[4].

وإذا انتقلنا إلى الزوجة التاسعة، وجدنا حديثها واضح القسمات، جلى الملامح، يعرف مراميه من يقرؤه لأول وهلة، ويدرك دون عناء أنها تمدحه، وترفع شأوه، وتحس من عباراتها بنشوتها، فى الحديث عن زوجها، إذ تقول: « زوجى رفيع العماد، طويل النجاد، عظيم الرماد، قريب البيت من الناد، وزادت رواية الزبير: « ولا يشبع ليلة يضاف،

---

(١) بغية الرائد: ص٢٠٦.

(٢) جواهر البلاغة: ص٢٣٢، ٢٣٣.

(٣) التحرير والتحبير: ص٢٤٧.

(٤) بغية الرائد: ص٩٤.

ولا ينام ليله يخاف[1] وأصل العماد: عماد البيت، وجمعه: عمد، وأعماد، وهى العيدان، التى تعمد بها البيوت والنجاد: حمالة السيف[2]، والنادى والندى: المجلس، قال تعالى: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم:٧٣] والندوة: الاجتماع والمشوره[3]، وهذه العبارات كلها قد أصبحت من أعلام الكنايات فى أسفار البلاغيين، لا يكاد يخلو كتاب من كتبهم إلا ولهذه الكنايات مكان فيه، فهذه الزوجة تمتدح زوجها بالشرف، والسؤدد، بين قومه، فكنت عن ذلك بقولها: رفيع العماد ويحتمل أن تكون قد أرادت أن بيت زوجها مرتفع، عال ليراه العفاة، وعلى هذا يكون اللفظ كناية عن اتساع بيته، المستتبع كثرة النازلين به، والغاشين له، من الأضياف[4] والعرب يمتدحون فى أشعارهم طول البيوت واتساعها يقول الأعش:-

طويل النجاد رفيع العما

د يحيى المضاف ويعطى الفقير[5]

وقولها «طويل النجاد» كناية عن طول زوجها[6]، والعرب تتمادح بالطول، وتذم القصر، ويرونه صفة مذمومة فى الرجال والنساء سواء،

---

(١) عمدة القارى: جـ٢، ص١٧٣، فتح البارى: جـ٩، ص١٧٤.

(٢) غريب الحديث: جـ١، ص٣٧٠.

(٣) شرح السنة للبغوى: جـ٩، ص١٧٥.

(٤) فتح البارى: جـ٩، ص١٧٤.

(٥) بغية الرائد: ص٩٦.

(٦) شرح البخارى للكرمانى: جـ١٩، ص١٣٥، فتح البارى: جـ٩، ص١٧٤.

بدليل أن الزوجة الثالثة عابت فى زوجها هذه الصفة، وقالت إنه «العشنق»، على رأى من لم يرأن العشنق هو المفرط فى الطول، وأما عظيم الرماد: فهو كناية عن كرم زوجها يقول العلامة القسطلانى: إنها من الكنايات البعيدة، وذلك لأن الانتقال فيها إلى المعنى المطلوب، لا يتم إلا بواسطة، حيث ينتقل الذهن من كثرة الرماد، إلى كثرة إحراق الحطب تحت القدور، إلى كثرة الطبائخ، ومنها إلى كثرة الآكلين[1] وقد مثل البلاغيون للكناية البعيدة بهذه العبارة[2] وأما قولها: «قريب البيت من الناد»، فالأصل فيها إثبات الياء، لكنها حذفت للسجع[3] ومرادها من هذه العبارة أنه شريف بين قومه، فهم إذا اشتوروا فى الأمر، كان رأيه الرأى وقد يكون مرادها: أنه اتخذ بيته وسط الناس، ليكون أعرف للضيفان، ولطلاب القرى، قال زهير:

يسط البيوت لكى يكون مظنة

من حيث توضع جفنة المسترفد[4]

ويحتمل كذلك أنها تريد أنه غير محتجب عن الناس؛ لأنه لا يتوارى عنهم فى أغوار المنازل، ولقد تناول العلامة ابن أبى الإصبع هذه الكنايات، تحت باب الإرداف والتتبيع، كلاما طيبا، بحسه المرهف، وذوقه الفياض، وجاس خلال تراكيبها؛ ليعتصر ما فى أوداجها

(١) إرشاد الساري: جـ٨، ص٨٦.

(٢) ينظر كتاب الأطول: جـ٢، ص١٧٤.

(٣) شرح البخارى للكرمانى: جـ١٩، ص١٣٥.

(٤) فتح البارى: جـ٩، ص١٧٥.

من جمال، ومن المعروف أن ألفاظ الإرداف، والتتبيع، والتجاوز، والكناية، كلها أسماء لمسمى واحد[1].

وعبارة هذه الزوجة عن زوجها، فيها مبالغة محمودة، وإيجاز رائع سديد، وما دفعها إلى تلك المبالغة، إلا حبها لزوجها، ومن ثم فخرها به، فآثرت أسلوب المبالغة، للإبانة عما يعتمل فى صدرها تجاهه، وحسبنا دليلاً على فصاحتها ما قاله الإمام القسطلانى فى شرحه للبخارى: «إذا لمحت كلام هذه وتأملته، ألفيتها لأفانين البلاغة جامعة، وبعلم البيان وبعض الإيجاز والقصد فارعه»[2] وليس من نافلة القول التذكير بالسجع الذى التزمت به كل النسوة، لكنه غير مستكره فى موضعه، وله من الإضافة الموسيقية ما تبش له الأذن، وتتفتح له القلوب.

وهذه هى الزوجة العاشرة: تقول فى زوجها مشيدة به: «زوجى مالك، وما مالك؟ مالك خير من ذلك، له إبل كثيرات المبارك، قليلات المسارح، وإذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك».

وللوهلة الأولى: نجد أن كلام هذه، مختلف بعض الاختلاف عن سابقاتها، فهى أول امرأة تعلن عن اسم زوجها، فتقول مصرحة به، «زوجى مالك» دلالة على تعظيمها إياه، وزهوها به، وتكرار الاسم يتجه إلى التعظيم، والتهويل لأمره، والتلذذ بذكره، كما قال البلاغيون فى التكرار فى هذا البيت:

---

(١) البيان: د. بدوى طبانه: ص١٨٥.

(٢) إرشاد السارى: جـ٨، ص٨٦.

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا

ليلاى منكن أم ليلى من البشر[1]

وقد ساعد الاستفهام بما فيه من تعظيم، وتهويل، وتعجب إلى الإيحاء بأن هذه الزوجة مجلة لزوجها، متسامية به، وحقيقة قولها وما مالك؟ «أى أى شيء هو؟ ما أعظمه وما أجله! ومثله قوله الله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ١, ٢][2] واسم الإشارة «ذلك»، يجوز أن يكون عائدا إلى كل مالك للمال، على جهة العموم، المستفاد من المقام أو هو عائد إلى ما فى ذهن المخاطب، من أى مالك للثروة، أو هو خير مما تشير إليه، من ثناء وطيب ذكر، وما تعتقده من سؤدد، أو هو خير من كل الأزواج، ممن أثنى عليهم من زوجاتهم[3].

وتستطرد هذه الزوجة فى الثناء على زوجها، فتصفه بالسخاء والجدا، فى قولها: له إبل كثيرات المبارك»، والمبارك: جمع مبرك وهو مكان إناخة الإبل، وقولها: قليلات المسارح، جمع مسرح وهو المكان الذى تسرح فيه هذه السوائم،وتطلق للمرعى، وقولها: «له إبل» قصر عن طريق تقديم المسند، وتأخير المسند إليه، يفيد أن هذه الإبل الكثيرة العدد، التى أعدها لقرى الضيفان، أمر خاص به، وصفة من صفات الجود، لا يشاركه فيها أحد، وفى هذا القصر: إشادة وزهو كبير بهذا الزوج، ومن ثم جاء المسند إليه «إبل» نكرة، للتكثير، وهذا

---

(١) التبيان فى علم المعانى والبديع والبيان: ص٥٧.

(٢) بغية الرائد: جـ١٠٥.

(٣) ينظر فتح البارى: جـ٩، ص١٧٥ شرح البخارى للكرمانى: جـ٩، ص١٣٥.

هو المناسب للمقام، وامتداد منها في تأكيد صفة الكرم هذه في زوجها، أتبعت الإبل بصفتين تقرران هذه الصفة فيه، وهما قولها: «كثيرات المبارك، قليلات المسارح»، وكلتاهما كناية عن كرمه، وإطعامه الضيوف، على هذا الشكل الذى ليس له نظير، بين قرنائه، «فكثيرات المبارك»: كناية عن كثرة ضيوفه، الألى يطرقون عليه ليلا ونهارا، أو هى كناية عن كثرة ما تدره من ألبان، أو هى مخصصة ومعدة للعطايا، وأداء الحقوق، وأما رواية «عظيمات المبارك» فهى كناية عن سمنها ووفرة لحمها. وأما قولها: «قليلات المسارح» فهى صفة مؤكدة فى معناها للكناية السابقة، وتلف لفها، ومن أجل ذلك تعتبر كناية عن كثرة ضيوفه، وكثرة ما يقدم لهم من رفد، وإشباعا لذلك المعنى، قالت: «إذا سمعن صوت المزهر، أيقن أنهن هوالك»، والمِزهر بكسر الميم لا بضمها، آلة من آلات الطرب، وقد رويت بالضم، على أنها المُزهر للنيران، أى الموقد لها بحجة أن مثل هذا الرجل لم يكن من أهل الحضر حتى يعرف آلات الطرب، ورد عليه بأن ليس هناك من دليل قاطع يحكم بذلك، بل الأقرب أن يكون عارفا لهذه المعازف، لأنه من أهل اليمن، أو من قريش، ولقد وردت المعازف والمزاهر فى أشعار العرب كثيراً منها قول امرىء القيس:

لها مزهر يعلو الخميس بصوته

أجش إذا ما حركته يدان[1]

---

(١) بغية الرائد: ص١١٣.

واختيار «إذا» الشرطية جاء في محله، لأنها داخلة على أمر ليس بالمشكوك فيه، وعلى هذا فالإبل تعودت مرارا أن تسمع صوت المزهر، عند حلول الضيف، وأدركت بحاستها أنها ستنحر وإضافة اليقين إلى الإبل العجماء، من باب الاستعارة التبعية في الفعل حيث شبه انفعالات هذه السوائم عند سماعها لصوت المزهر، وإحساسها بالهلاك، باليقين بجامع الثقة والجزم ثم حذف المشبه، واشتق من اليقين الفعل الماضي أيقن، بمعنى أحس، والتعبير باليقين هنا مشعر بأن هذه العجماوات صارت كالعقلاء، من شدة وكادتها بأنها مذبوحة عند حلول الضيف، وما أجمل التعبير بقولها: هوالك! حيث إنها من جموع الكثرة، التي تدل بصياغتها على كثرة ما يذبح من الإبل، وفوق ذلك نجدها مجانسة في السجعة لما سبقها، مؤاخية لها في النغم، والاعتماد على السجع أمر لا مندوحة منه، ما دام ليس مصطنعا، وما دام له تأثير في تذوق المعاني، وخفة تقبلها لدى السامع، بما له من صلصلة حميمة، ومن المحسنات في كلام هذه الزوجة أيضًا، التي ازدانت بها، ما يسمى بالترديد، وعرفه ابن أبي الإصبع «بأن يأتي المتكلم لفظة من الكلام بمعنى، ثم يرددها بعينها، ويعلقها بمعنى آخر، كقوله سبحانه: ﴿حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وله صورة أخرى أيضا يسميها ابن أبي الإصبع الترديد المتعدد «يتردد حرف من حروف المعاني، إما مرة أو مرارا، وهو الذي يتغير فيه مفهوم المسمي، لتغير الاسم، ومثال ذلك عنده قوله تعالى: ﴿وَمَن

يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] وهو عين ما قاله صاحب الطراز فيه لكنه اقتصر على النوع الأول منه[1]، وهذا الترديد الذى تعرفنا عليه، موجود فى عبارة هذه الزوجة فى قولها: «زوجى مالك وما مالك؟ ما لك خير من ذلك»، كما أرى فيها تورية فى قولها «مالك» حيث إنها ذات معنيين، واحدة بمعنى المالك للخير، والثانية بمعنى زوجها، وهى قد أرادته قطعا، وإذا كان هذا الكم من المحسنات، قد اجتمع طوعا فى كلام هذه الزوجة، فإنى أراها قد جمعت فى عبارتها بين الإطناب فى العبارة الأولى، التى كررت فيها اسم مالك، للتعظيم والتفخيم، وبين الإيجاز فى قولها بعد ذلك كثيرات المبارك، قليلات المسارح إلخ.

وهذه هى الزوجة الأخيرة، الحادية عشرة، التى تضاهىء قول العاشرة، فى التصريح باسم زوجها، إكبارا له، وإجلالا فتقول: زوجى أبو زرع فما أبو زرع..»؟ إلخ وهذا النسق التعبيرى جاء مطابقا لحديث الزوجة السابقة، حذو القذة بالقذة، وهذا إن دل على شىء، فإنه يدل على أن النساء، كن يعرفن أنماط الأساليب العالية، ويتواضعن على تكرارها، لما فيها من الإعراب الدقيق عما يجيش فى صدورهن، فالاستفهام هنا النازع للتعجب والتعظيم، هو عين الاستفهام السابق، وتعريف الطرفين: المسند، والمسند إليه كذلك، كما أن تكرار الاسم للتلذذ به، والإشادة بمكانته، هو نفسه، ثم استطردت هذه الزوجة الوامقة لزوجها تفصل ما قالته: «أناس من حلى أذنى، وملأمن شحم

---

(١) ينظر تحرير التحبير: ص٢٥٣، الطراز: ص٥٦٥.

عضدى» ومعنى أناس: حرك، أو: أثقل حتى تدلى، والحُلِى بضم الحاء وكسر اللام: ما تتحلى به المرأة، من زينة، ويجوز فى لغة أخرى كسر الحاء فى حلى[1] والمعنى أن المرأة تمتدح زوجها أبا زرع، لأنه أسبغ عليها من ألوان الزينة، وأطعمها ما شاءت، وجعلها مترفة مخدومة، حتى امتلأ جسمها من كثرة ما نالت، من المآكل والمشارب وفصلت هذه العبارة عن سابقتها؛ لأنه من شبه كمال الاتصال، فهى كالجواب عن سؤال مقدر يعن للقارىء، إذ يقول: ماذا فعل معك حتى تطريه كل هذا الإطراء؟ فكان هذا جوابا لذاك، وبنظرة متانية إلى العبارتين، نجد أنهما متوازنتان نغما، فالموازنة والسجع قد سريا فيهما، حتى جعلها أحسن أداء، وأحلى وقعا، ومع أن العبارة الأولى وهى: «أناس من حلى أذنى»، جاءت على سبيل التعبير الحقيقى، إلا أن القلب يستشعر فيها اتجاها إلى المعنى الكنائى، ولا مشاحة بين هذا وذاك، لأن الكناية لا تمنع من إرادة الواقع، فلا تدافع بينهما، فالزوجة أراها أرادت فى عبارتها هذه، ألا تقتصر على كون زوجها حلاَّها بالذهب، لكنها ترمى بها إلى أبعد من ذلك، وهو إدلالها، وحبه القوى لها، وما أروع تقديم الجار والمجرور، ! و هو من المتعلقات، حيث إنه عامل على وجود السجعة، لكنه فوق ذلك وقبله دال على ما تهتم به الزوجة، فقدمته على سواه، فإذا كان الأمر كذلك، فلا غبار على الإطلاق، من وجود مثل هذا السجع، الذى جاء بلا تكلف له وأما جملة «وملأ من شحم عضدى»، فهو مجاز مرسل، علاقته الجزئية، حيث عبرت

(١) صحيح مسلم: جـ٨، ص٢٣٤.

بالعضد، وأرادت الجسم كله، واختارت العضد دالا على الجسد، لأنه الجزء الذى تبدو فيه عافية الجسم كله، أو كما يقول الإمام الهروى إذا سمنت العضد سمن سائر الجسد[1]، أو كما يقول ابن حجر إنه أقرب ما يلى بصر الإنسان[2]، وللمجاز المرسل أسراره البلاغية، فى كل علاقاته التى تحدث عنها أهل البلاغة، وأرباب البيان، فإذا أطلق الجزء كما هنا فى العضد وأريد الكل، دل علي أن هذا الجزء هام، وأساس فى القضية، ولابد كذلك أن يكون لهذا الجزء مزيد صلة بسياق الحديث، والمجاز كما يقول ابن رشيق - رحمه الله - فى كثير من الكلام، أبلغ من الحقيقة، وأحسن موقعا فى القلوب والأسماع[3] وهذا يصدق على التعبير بالعضد وإرادة كل الجسد، فهو أبلغ وأقوى، لإبرازه قوة الجسد محسة جلية، من خلال أوضح أعضاء الجسد، وهو العضد، وأظهرها لفتوة الشباب وعرامته.

ثم استطردت تتحدث عما نالها من ذلك الزوج، فقالت: «وبجحنى فبجحت إلى نفسى، وجدنى فى أهل غنيمة بشق، فجعلنى فى أهل صهيل وأطيط ودائس ومنق، «هذا عند البخارى أما عند مسلم، ففيها اختلاف قليل فى قولها: «فجعلنى فى اهل صهيل وأطط، ودائس ومنق، وقبل أن أشرح هذه العبارة، أود أن أقول إن غرابة هذه الألفاظ، واحتياجها إلى المعاجم، أمر جلى، لكن هذه الزوجة لم تر أمامها، تلك الحجب الكثيفة التى صارت حجازا مانعا حائلا بيننا وبين اللغة، ولذلك نراها تنطق بها، أمام لداتها، ولم نجد واحدة منهن

(١) غريب الحديث: جـ١، ص٣٧١.

(٢) فتح البارى: جـ٩، ص١٧٦.

(٣) العمدة لابن رشيق: جـ١، ص٢٦٦.

تتهمها فى لسانها بالغرابة والتقعر، فالتبجيح: الإسعاد، والفخر، والفرح، وغنيمة تصغير: غنمة أى: إن أهلها كانوا رعاة غنم، وكلمة بشق: رويت بفتح الشين، وكسرها، وقد صوب ابن حجر الفتح، وقال الزمخشرى بكسر الشين هم بشق من العيش، أى في شظف وجهد، وقيل هو اسم موضع[1]، والصهيل: هو صوت الخيل، والأطيط: أصوات الإبل، قال الأعشى فى الأطيط:

ألست منتهيا عن نحت أثلتنا

ولست ضائرها ما أطت الإبل

وقال أبو عبيد الأطيط هو الحنين[2].

وأما دائس ومنق، فالمعنى فيها الدائس: الذى يدوس الطعام أو الأندر، والمنق وردت المنقى: بمعنى الغربال، وأصحاب الحديث يقولون مُنِق بكسر النون، قال أبو عبيد لا أعرف ا لمنق، وقال غيره إن المنق: نقيق الدجاج، أو أصوات المواشى والأنعام[3].

ومفهوم هذا الكلام أن الزوجة تقول إن زوجها نقلها من شظف العيش، وقسوته، إلى حياة اللهو والدعة، حيث الخيل والإبل، والزروع والثمار، والعرب كما يقول الكرمانى، لا يعتدون بأصحاب الغنم، إنما يعتدون بأصحاب الخيل، والإبل[4]، ويتمادحون كما يقول ابن حجر

---

(١) الفائق: جـ٣، ص٥٢.

(٢) ينظر غريب الحديث: جـ١، ص٣٧٢.

(٣) ينظر شرح السنة للبغوى: جـ٩، ص١٧٧، الفائق: جـ٣، ص٥٢ بتصرف.

(٤) شرح الكرمانى: جـ١٩، ص١٣٦.

بقولهم «إن كنت كاذبا فحلبت قاعدا»[1]، والعبارة فى جانبها البلاغى، متينة السبك، دقيقة المعنى، فالعطف بالفاء فى قولها: «بجحنى فبجحت إلى نفسى»، دال على سرعة تأثرها بما نضا عليها زوجها، من ثياب العز والدلال، وأما الجملة التى أعقبتها، وهى قولها: وجدنى فى أهل غنيمة بشق، إلخ فهى تفصيل لمجمل كلامها، وهذا الإطناب دقيق فى موضعه، لأن بسط الأمور فى مقام التفاخر والتباهى، أقرب إلى النفس البشرية، وأعلق بها، والعطف بالفاء أيضًا فى الفعل «فجعلنى»، يوحى بأن انتقالها من حياة الإملاق والشظف، فى رحاب أهلها إلى حياة البسطة والرفاهية جاء سريعا، وأن أبا زرع أفاء عليها من ظلال نعمائه، منذ وطئت قدمها بيته، وحلت زوجا عليه، وهذا وحده دليل على شدة حدبه بها وإكرامه لها، وأرى أن العبارتين السابقتين، كلتيهما كناية، فالأولى وهى «أهل غنيمة»: كناية عن حياة الفقر والعدم، التى كانت تحياها، والثانية: كناية عن حياة الترف والسعة. وأما المحسنات فى عبارات هذه الزوجة، ففيها فوق السجع والموازنة، «الترديد» وقد سبق أن ذكرناه عند حديثنا عن الزوجة السابقة، ويتمثل هذا فى تكرار كلمة أبى زرع وتعلقها مرة بشىء، ومرة أخرى بشىء غيره، كذلك الطباق بين حياتيها: حياتها مع أهلها، وحياتها مع أبى زرع زوجها فى قولها: وجدنى فى أهل غنيمة بشق، فجعلنى فى أهل صهيل، وهذا الطباق يجلو لنا حياة هذه الزوجة، جلاء سافرا ويبين الفارق الكبير بين هذه وتلك ومن خلال ذلك الطباق تطل علينا

(١) فتح البارى: جـ٩، ص١٧٧.

آيات السعادة بادية على لسان هذه الزوجة ثم استطردت فى إطناب جليل، تفصل ما هى فيه من نعمة فقالت: فعنده أقول فلا أقبح، وأرقد فأتصبح، وأشرب فأتقمح، ومعنى لا أقبح: لا يقبح لى قول، بل يقبل منى، وقولها: أرقد فأتصبح، والتصبح أى: أنام الصبحة[1] أى إنها مكفية مخدومة، كما قال الكرمانى[2] وأما قولها وأشرب فأتقمح، وفى رواية وأشرب فأتقنح فقد قال القاضى عياض عن رواية النون: إنها صحيحة، وأورد روايات عدة حول معنى التقمح والتقنح، فمنهم من قال إنه الشرب: الرى وقال النيسابورى: إنه الشرب على رسل لكثرة اللبن وقال يعقوب: «فأتقنح أى فلا يقطع على شربى[3]، ورواية مسلم أتقنح بالنون، والنون والميم صحيحتان[4].

ولنتأمل فى هذه العبارات الثلاثة لنجد الزوجة تتيه زهوا بمظاهر النعمة والرخاء، وما أحست به عند زوجها من شعور التكريم، والإجلال، والرفعة، وأى إجلال لها أكثر من أن تقول كلا ما «فلا تقبح»؟ أى لا يرد عليها، ولا تخطأ، فكل كلامها مقبول، مرضى عنه، وتلك هى الحفاوة عينها، وقد ساعد بناء الفعل للمجهول وحذف الفاعل، ـ كما رأينا ـ على عموم عدم تقبيح كلامها، فإخفاء الفاعل وتواريه هنا، مؤذن بذلك الإدلال الذى تعيش فى كنفه، وتميس

---

(١) الفائق للزمخشرى: جـ٣، ص٥٣.

(٢) شرح البخارى: للكرمانى: جـ١٩، ص١٣٦.

(٣) إكمال المعلم: جـ٧، ص٤٦٥، بتصرف وفتح البارى: جـ٩، ص١٧٨.

(٤) صحيح مسلم: جـ٨، ص٢٣٥.

فى ظله، وما أروع تقديم المعمول ومتعلق الفعل «عنده» على الفعل نفسه إذ إن ذلك التقديم، أشعرنا بأن هذه العزة، والسمو والشعور بالذات، لم تواتها إلا عنده هو، لاعند سواه، ولذلك كان التقديم هنا دالاً على القصر، والمعنى ناطق بذلك، وأتت هذه العبارة، كناية عن إعزاز هذا الزوج لها. وقولها: وأرقد فأتصبح، كناية هى الأخرى، كما ألمح بها الكرمانى سابقًا[1]، أنها كناية عن ترفها، وأنها مكرمة، غير ممتهنة، أعد لها زوجها من يخدمها، ويكفيها مؤنة بيتها، وهذا نفس ما عناه امرؤ القيس فى قوله واصفا إحدى هؤلاء المترفات:

ويضحى فتيت المسك فوق فراشها

تؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل[2]

وقد سمى ابن رشيق الكناية فى البيت، بالتتبيع، وقال فيها: «وإنما أراد أن يضفها بالترفه والنعمة وقلة الامتهان فى الخدمة وأنها شريفة مكفية المؤنة»[3].

وأما العبارة الأخيرة، من هذه الثلاث، فتدور فى فلك ما سبقها، وهى قولها: و«أشرب فأتقمح» أو «فأتقنح»، فهى كناية أيضًا عن عزة هذه الزوجة، وكثرة ما لديها من خير، أو هى كناية عن سمن جسمها، ووفرة صحتها، والكناية فى الجمل الثلاث، لها رواؤها، فقد أشارت إلى المعنى بالتلميح لتستدعى تأمل الخاطر فيما تقول، وتثبت المعنى

(١) الكرمانى: جـ١٩، ص١٣٦.

(٢) إكمال المعلم: جـ٧، ص٤٦٥.

(٣) العمدة جـ١، ص٣١٣، ٣١٤.

فى الذهن، عن طريق ما تقدمه بين يديها من دليل وحجة، ومن الملاحظ أن الفقرات الثلاثة، مسجوعة سجعا مخالفا، للجملة السابقة، لأن المعنى قد تغير، وتغيير الفواصل لتغير المضمون والفكرة، أجذب للذهن، وأكبر عامل لتحريكه وإثارته، وأدل على أن هناك أمرا طارئًا قد استجد، مما يتطلب مزيداً من التأمل، واليقظة، وهذا التنوع فى الفواصل، للتلاءم مع المعانى، قد سبق إليه القرآن الكريم، ولا غرو فى ذلك؛ فهو الأعلى نظما، والأسمى بيانا، وذلك عندما ينتقل الأداء من معنى، إلى معنى جديد، يراد للذهن أن يتأمله، وقد التفت العلامة الزمخشرى، إلى العلاقة الحميمة بين الفاصلة والمعنى، وكان له - كما يقول الدكتور أبو موسى - «فى هذه اللفتات نفاذ إلى المعانى، وبيان لأجناسها»[1] وهذا واضح فى سورة مريم إذ نرى تتابع الفاصلة بالياء والألف، منذ بداية السورة، لكنها تتغير فجأة عند الحديث عن خلاصة القضية، فى أمر عيسى عليه السلام، فى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم: ٣٤] وذلك لينشط الذهن، ويلتفت إلى المراد، وكأن العبارة تشده شدا إلى النظر الحثيث فى هذا الأمر، وإلى الإمعان فى تلك الخلاصة الهامة ولم تكتف هذه الزوجة، بمدح زوجها أبى زرع وحده، وإنما مدت من الثناء عليه، لينال أهليه طرا، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على أنها تشير إلى كرم محتده، وأرومته، وكأنها بذلك تقول: إن أبا زرع لم يأت هكذا فى كرمه، وطيب عنصره، بدعا فى قومه، وإنما نماه أصل عريق، وسما به

---

(١) البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى د. محمد أبو موسى، ص٤٤٠.

جذر ممتد فى أعماق قومه، من كرم النحيزة، وأصالة الخلق، ومن ثم فحديثها مفعم بشدة الإعجاب بصاحبها، أبى زرع، والإعجاب رافده الحب الصادق، الذى جعلها تنطلق مادحة كل من يتعلق بسبب ما إلى زوجها، الحانى عليها أبى زرع، سواء أصوله وفروعه، وإذا كان الإنسان كالغصن من الشجرة، بالنسبة إلى أصوله، كان لابد أمام المدح الحق أن تبدأ تلك الزوجة فى مدح أصوله، فبدأت بأمه، ولم تتحدث عن والده ولماذا؟ لم أجد جوابا على ذلك فى كل كتب الحديث، حتى وجدتنى أميل إلى أنها أعرضت عن والده؛ لأنه آنذاك لم يكن حيا، إذن فالأصل هنا يتركز فى الأم، وحسبها أنها الوعاء الذى يحتضن الإنسان، ولا شك أن الأبوين وما فيهما من خصال الشرف والفضيلة، شارة دالة على أصالة هذه الأخلاق، فى عقبه، ونسله، ومن ثم يعود مدح الأم، وما تلاه من أصول وفروع، إلى تأصيل هذه القيم والمثل فى الممدوح نفسه، وإلى الجهر بأن ما فيه من قيم، ليس أمرا عارضا، إنما هو أصل ثابت، نماه إليه، معدن طيب العنصر، ولنستمع إليها وهى تتحدث عن أم زوجها أبى زرع، حين تقول:

«أم أبى زرع فما أم أبى زرع؟ عكومها رداح، وبيتها فساح» ومعنى عكومها: الأعدال والأحمال، التى تجمع فيها الأمتعة، وقيل هى نمط تجعل المرأة فيه ما تدخره[1]، ومعنى رداح بكسر الراء وفتحها: العظام الكثيرة الحشو، والفساح معناها: الواسعة، وهنا نجد الزوجة تصف تلك الأم، بأنها كثير خيرها، وفير مالها، وأن بيتها فسيح مترع بالخير

(١) عمدة القارى: جـ٢، ص١٧٤، صحيح مسلم: جـ٨، ص٢٣٥.

والوجد. وإذا نظرنا إلى تلك العبارة، وما بعدها، نجد التراكيب كلها قد سارت على وتيرة واحدة، ونمط من التعبير لا يتغير، وأحسبها فعلت ذلك لتستطيع من خلال ذلك التركيب المتحد في صياغته أن تفرغ ما في قلبها من إعجاب، بكل من يتصل بأبي زرع، فهاهي ذي تبدأ بما بدأت به أول كلامها، أي: بجملة اسمية، يتلوها استفهام، «أم أبي زرع فما أم أبي زرع؟» وهو نفسه التركيب الذي مضت عليه في كل حديث لها، يتعلق بكل من ينتسب إلى زوجها أبي زرع، ونلاحظ أن هذه الجملة الاسمية، على ما هي عليه، ناطقة بالفخار والزهو، حيث جاءت مبتدأ محذوف الخبر، أو خبرا محذوف المبتدأ، وكل هذا جائز، ومن ثم فهي بتركيبها هذا، دال على عموم الفخر، والتمادح بتلك الأم؛ لأن هذا الحذف وسع من دائرة المديح، وأشبع منه إشباعا، وجعل الزهو بتلك الأم، عاما ينداح في كل اتجاه، وإضافة الأم إلى أبي زرع: فيها إيماء منها، أن الذي خلع عليها الشرف والسؤدد، إنما هو كونها أما لمثل هذا الزوج العظيم، وكأنها لا تعرف إلا به، ومثل هذا التركيب ستجده مكررا، مع من ستتحدث عنهم هذه الزوجة، من أقارب أبي زرع، كابنه، وبنته، وجاريته، وكذلك نجد في هذا التركيب، ذلك الاستفهام التعجبي، الذي يمد من الخيلاء بتلك الأم، والثناء عليها، وهذه الجملة مجملة، تحتاج إلى تفصيل، ومن ثم قالت: «عكومها رداح، وبيتها فساح» وهاتان الجملتان تعد كلتاهما كناية، عن الخير الكثير، الذي تنعم به، ويحتمل أن تكون كناية عن كفلها، وعظمه، كما قالوا جارية رداح»[1]، والأصوب هو الرأى

(١) بغية الرائد: ص١٣٦.

الأول؛ لأنه الذى يتلاءم مع السياق، ومن الواضح جدا فى عبارة الزوجة ذلك السجع، الذى يتجلى فى كل فقرة، لكننا لا نحس فيه نبوا ولا كلفة، بل نراه زين العبارة، وكساها من رونقه حللا، والإيجاز باد فى العبارة كذلك، وهو إيجاز قصر، لم تحذف كلمة منها، فالمعانى فضفاضة غزيرة، والألفاظ قليلة معدودة.

وإذا انتقلنا من وصف أم أبى زرع، إلى ابنه، وجدنا تلك الزوجة تصفه بقولها: ابن أبى زرع، فما ابن أبى زرع؟ مضجعه كمسل شطبة ويشبعه ذراع الجفرة. ومسل الشطبة: المسل مصدر بمعنى السل، قام مقام المسلول، والمعنى كمسلول الشطبة، والشطبة: أصلها ما شطب من جريد النخل، وهو سعفه[1]، ومعنى يشبعه ذراع الجفرة: أى يكفيه القليل من الطعام، والعرب تمتدح الرجل بقلة الطعام، والشراب، كما فى قول الأعشى:

تكفيه حزة فلذ إن ألم بها

من الشواء ويروى شربه الغمر

ويروى تكفيه فلذة كبد[2] والجفرة أنثى الماعز، وإذا كان ذراعها يكفى ذلك الولد، فى بيئة كثيرة المآكل والمشارب، دل ذلك على قلة طعامه.

وإذا نظرنا مليا فى عبارة هذه الزوجة، عن ابن أبى زرع، وجدنا أن قولها فيه: مضجعه كمسل شطبة، يحتمل احتمالين، إما أن يكون

---

(١) ينظر الفائق فى غريب الحديث: جـ٣، ص٥٣، غريب الحديث: جـ١، ص٣٧٤.

(٢) غريب الحديث: ص٣٧٥.

التعبير على حقيقته، أى أنها أرادت تشبيه مكان اضطجاع ذلك الابن، فى ضيقه بمسل تلك الشطبة، إذا انتزعت من الحصير، فبقى مكانها فارغا، والاحتمال الثانى: أنها شبهته بسيف مسلول، من غمده كما قال أبو سعيد، والعرب كما يقول الإمام العينى ـ رحمه الله ـ تشبه الرجال بالسيوف، إما لخشونة الجانب، وإما لجمال الرونق، وإما لكمال الصورة، وإما للاستواء، والاعتدال[1]»، وتكون كلمة «مضجعه» مجازا مرسلاً، علاقته المكانية، حيث عبرت بالمكان، وأرادت الإنسان، والتعبير بالمكان هنا أبلغ، إذ هو يدل على أن ذلك المكان، من شدة تأثره بصاحبه، كأنه أصبح شاهد صدق، على كونه مهفهف الجسم، كالسيف فى استوائه، واعتداله، وقولها: «ويشبعه ذراع الجفرة» كناية عن قلة طعامه، كما سبق القول فى معناها، والكناية أجمل فى تعبيرها الرمزى عن الشىء، مع التدليل عليه، بما فى يدها من حجة قاطعة، وقد لخص الإمام القسطلانى ـ رحمه الله ـ حاصل هذه الجمل كلها فقال: «إنها وصفته بهيف القد، وأنه ليس ببطين، ولا جاف، وأنه قليل الأكل، والشرب، ملازم لآلة الحرب، يختال فى موضع القتال وذلك مما تتمادح به العرب»[2] وأما ابن حجر فقد التفت إلى معنى آخر، فى هذه الجملة، لم يلتفت إليه أحد من شراح الحديث، فقال: «ويظهر لى أنها وصفته بأنه خفيف الوطأة عليها، أى لا يمكث فى بيتها كثيراً، حتى لا يكون ثقيلاً، كما وصفته

---

(١) عمدة القارى: جـ٢٠، ص١٧٥ وإرشاد السارى: جـ٨، ص٨٨.

(٢) إرشاد السارى: ج٨، ص٨٨.

بانه لا يحتاج ما عندها، من الأكل فضلاً عن أن ياخذ منه»[1] والعبارة حمالة لكثير من المعانى، ليست حجراً على معنى بعينه.

وها هى ذى تمتدح بنت أبى زرع، على نفس المنهاج، الذى اتبعته فيما سبق، فتقول: «بنت أبي زرع، فما بنت أبى زرع؟ طوع ابيها، وطوع أمها، وملء كسائها، وغيظ جارتها».

والعبارة واضحة المعنى، لا غموض فيها، فهى تثنى على ابنته، بانها مطيعة لأبويها، لا تعصى لهما أمراً، وانها منعمة مترفة، قد بدا على جسمها، أثر هذه النعماء، ومن ثم كانت محسودة من أترابها، وضرائرها، وعبارة الزوجة إن دلت على هذه المعانى، فقد صيغت فى ديباجة مشرقة، فها هى ذى تعبر بالمصدر، عن اسم الفاعل، فى قولها: «طوع أبيها وأمها، وملء كسائها، وغيظ جارتها» وهذا العدول: أسبغ على العبارة، أنها وصلت إلى ينبوع الفعل نفسه، فامتلكت الطاعة التامة، والامتلاء إلى آخره، فتمام المعنى وكماله، بارز فى المصدر، ومن ثم عدلت عن اسم الفاعل إليه، وتكرار الطوع مع الأم، بعد الأب، فيه إشارة إلى استقلال كل منهما بطاعة خاصة، فهى تطيع الوالد فيما يأمر، وتطيع الأم فيما تأمر، وهذه ذروة الطاعة، وكمال التقدير والتجلة لكل منهما، فلا إلغاء لشخصية واحد من الوالدين، وأما قولها: ملء كسائها فهى كناية عن امتلاء جسدها، وهى كناية ذات دلالات متعددة، فملء الكساء: دال على وفرة الصحة، ووفرة الصحة، دالة على رغد عيشها، وسعادتها، والعرب تمدح المرأة بذلك قال الشاعر:

---

(١) فتح البارى: جـ٩، ص١٧٩ بتصرف.

ومخـــملة باللحم من دون ثـوبهـا

تطول القـصـار والـطوال تطولهـا[1]

وغيظ جارتها، تعني: أنها محسودة لفضلها، وكمال خلقها من ضرتها، أو جارتها في السكنى؛ لأن الجارة تعنى هذا وذاك، وتسمى الزوجة أيضًا جارة، لأنها تجاور زوجها، قال الشاعر:

أيا جـــارتا بيني فـــإنك طالقـــه[2]

وعلى ذلك تكون العبارة كناية عن تفوقها على أترابها في الحسن والجمال، والحظوة والخلق مما جعلها غيظ جاراتها، وقد وردت روايات متعددة منها «عقر جارتها»، أو «عبر جارتها»، وكلها تدور في فلك واحد، وتشير إلى أن ابنة أبي زرع، قد امتلكت من السجايا، والمحامد، ما جعلها محسودة من أترابها، وعبارة الزوجة فيها من السجع الرائق، والموازنة الجميلة ما يجذب النفس إليها ويدخل المعنى فيها مرتاحا مستقراً، وللنفس توقد إليه.

ولم تكتف أم زرع بمن مدحته، من أصل أبي زرع، وفرعه بل امتدت في إطرائها ليشمل جارية أبي زرع، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على إعجاب تلك الزوجة ليس بأبي زرع وحده بل بكل من يحوط به، وذلك هو الحب الصادق، والوفاء الأتم حين نرى الزوجة لا تتوقف محبتها على الزوج فحسب بل يتسع هواها ـ لوفائها القوى ـ

(١) بغية الرائد: ص١٤٢.

(٢) المصدر نفسه: ص١٣٩.

إلى أفنان شجرة الزوجية، وهذا تعليل حديثها عن جارية أبى زرع، فإذا كانت الجارية وهى من هى خادمة ليس إلا قد نالها من أبى زرع كفل كبير، من الجلال والإجلال فذلك برهان لا يخيب على أن أبا زرع قد أثر فيمن حوله، وانعكست خلقه وفضائله ومثله على كل من انتسب له حتى وإن كانت صلة خادم بمخدومه تقول الزوجة عن جارية أبى زرع: «جارية أبى زرع، فما جارية أبى زرع؟ لا تبث حديثنا تبثيثا، ولا تنقث ميرتنا تنقيثا ولا تملأ بيتنا تعشيشا»، ومعنى لا تبث: لا تشيع سرنا بل تكتمه، ومعنى لا تنقث ميرتنا: لا تسرق الميرة، والميرة: كل ما يجلبه البدوى من الحضر من الدقيق ونحوه أى لا تفسدها، ولا تفرقها، فهى أمينة[1] ومعنى ولا تملأ بيتنا تعشيشا: أى لا تترك الكناسة والقمامة فيه، مفرقة كعش الطائر، بل هى مصلحة للبيت، معنية بنظافته وقيل معناه: لا تخون فى طعام، وتواريه فى زوايا البيت كأنه أعشاش الطيور وروى فى غير مسلم: تغشيشا» بالعين المعجمة من الغش فى الطعام، وقيل من النميمة[2] وقد مال بعض شراح الحديث إلى أن العبارة الأخيرة كناية عن عفة فرجها، وبعدها عن الخنا[3]، وهذا عندى أوجه من غيره؛ ذلك لأن العبارة لو أخذت على ظاهرها، لكانت العبارات الثلاثة عن الجارية فى معنى واحد، لكن بهذا المعنى الكنائى تأخذ معنى جديداً له مذاق آخر.

---

(١) شرح السنة النبوية: جـ٩، ص١٧٨ شرح البخارى للكرمانى: جـ١٩، ص١٣٧.

(٢) صحيح مسلم: جـ٨، ص٢٣٧، إكمال المعلم: جـ٧، ص٤٦٨.

(٣) فتح البارى: جـ٩، ص١٨٠.

ومن الملاحظ أن نسق العبارة جاء وفاق ما سبقها في التركيب، وقد نوهت على ذلك سابقا من حيث البدء بالجملة الأسمية، والتعقيب بالأستفهام التعجبى، الذى يزيد من التباهى والتفاخر بها، ونلاحظ كذلك أن قولها: «لا تبث حديثنا» إلخ جاء تفصيلاً لما قبله من إجمال، ونلاحظ أن السجع ينتظم العبارات الثلاثة كلها، مع فاصلة قوية، ذات حدة، لتتناسب مع فظاعة التبثيث، والتنقيث، والتعشيش، وهذه المصادر الثلاثة أعنى: التبثيث، والتنقيث والتعشيش، لبست كلها المصادر الأصلية لأفعالها، حيث إن الفعل «بث» مصدره ليس «التبثيث» وإنما عدل إليه مراعاة للسجع ولأن الفعل «لما كان متناولاً كل جنس من أجناسه، جاز أن يوقع التفعيل، الدال على التكرير، والتكثير مصدر الفعل»[1]، هكذا يقول الزمخشرى وقوله الحق في هذا الكلام، كل هذا الثناء الذى استغرق تلك الصفحات، من أم زرع فى زوجها، ومن ينتمى إليه، كان توطئة للقضية الأم، وتمهيداً حسنا لها، وتوضيح ذلك: أنه إذا كان هذا حبها، وإخلاصها لأبى زرع، ثم يأتى بعد ذلك ليطلقها، ويتزوج غيرها، ومع ذلك كله تعيش على حبها الأول له برغم زواجها هى من رجل آخر، أغدق عليها من النعم، ما كان ينبغى أن ينسيها طلاق أبى زرع لها، إلا أنها لم تزل تتذكره، وتحبه، وتخلص له برغم ما كان منه، إن هذا التمهيد حين تذكره هذه الزوجة، ثم تتلوه بقصة طلاق أبى زرع لها، يعطى للكلام لذة ونشوة بما فيه من عنصر المفاجأة غير المتوقعة، وانتقال الزوجة من ذلك التمهيد

---

(١) الفائق للزمخشرى: جـ٣، ص٥٤.

للقضية، إلى القضية نفسها، ليدل على براعتها، وفصاحتها المثلى، فى حسن التخلص إلى الهدف المنشود، والقضية المعنية، ولقد أفاض الإمام العلوى صاحب الطراز فى أنواع هذا التخلص، وأظنه متفرداً دون سواه، بهذا التوسع المحمود فى أنواعه، وحسن التخلص الذى بين أيدينا يعد من الضرب الأول منه وقد عرفه صاحب الطراز بقوله: (أن يسرد الناظم والناثر كلامهما فى مقصد من المقاصد غير قاصد إليه بانفراده، ولكنه سبب إليه ثم يخرج فيه إلى كلام هو المقصود)[1] وإذا كان العلماء يشترطون لوجوده أن يكون بين الكلامين قرب، وملاءمة، و أن يكون الكلام آخذا بعضه برقاب بعض، فإن الناس كما يقول العلوى يتفاضلون فيه، «فعلى قدر الاقتدار فى النظم والنثر يكون حسن التخلص»[2] وتلك المزية موجودة فى كلام أم زرع، حيث نجد اقتدارها وجدارتها فى الميدان البلاغى، قد جعلتها تنسج الكلام نسيجا محكم الصياغة، لا أمت فيه، ولانتوء، ثم تتخلص من الكلام السابق، إلى صلب القضية لتضع فى خلد سامعها أنها وفية فى حبها، مخلصة لزوجها أبى زرع، برغم ما اقترفه فى حقها من جريرة الطلاق بلا ذنب، والقضية الأم ـ كما قلت ـ التى تعد محور الحديث وبؤرته هى: طلاق أبى زرع لها فتقول: «خرج أبو زرع والأوطاب تمخض، فلقى امرأة معها ولدان لها، كالفهدين يلعبان من تحت خصرها برمانتين، فطلقنى ونكحها»، والأوطاب: جمع وطب، وهو وعاء اللبن،

---

(١) الطراز للعلوى: ص٣٦٠.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

وأسقيته[1] وقد ذكر القاضى عياض عن أبى سعيد النيسابورى أن جمع وطب على أوطاب فى هذا الحديث منكر فى العربية، وجمعه المعروف وطاب[2]، ووصف أم زرع لتلك المرأة، التى شاهدها زوجها أبو زرع فتزوجها، من أول وهلة على هذا النحو لتبين لنا الدواعى التى دعت أبا زرع لتطليقها، والزواج من تلك المرأة المنجبة، وذلك أن العرب «كانوا يرغبون فى أن يكون أولادهم من النساء المنجبات، فى الخلق والخلق»[3] وجملة والأوطاب تمخض: جملة حالية تبين لنا هيئة الحياة فى تلك الآونة، التى خرج فيها أبو زرع وهى جملة اسمية مكونة من مبتدأ، وخبر جملة فعلية (تمخض) وقد تقوّى الإسناد بما فيها من ضمير يعود على المبتدأ وما أجمل بناء الفعل «تمخض» للمجهول حيث أفاد التركيز على الحدث وحده، دون فاعله الذى لا يتعلق به شأن، وهذه الجملة الاسمية كناية عن خصوبة الأرض، وكثرة الخير وطيب الربيع، وقوله: فلقى امرأة معها ولدان لها كالفهدين إلخ معطوفة بالفاء على ما قبلها للدلالة على سرعة اللقاء وسرعة التأثر بها ومن ثم سرعة زواجه منها، وطلاقه لأم زرع، وتنكير «امرأة» يوحي بالتحقير، وكأنها تشير إلى أن أبا زرع لم يتحر أمر تلك المرأة فما إن رآها إلا وقع أسير عاطفته المشبوبة تجاهها، ووصف أم زرع لتلك المرأة بقولها: «معها ولدان لها إلخ يزيد من بيان علة اندفاع الرجل بتلك

---

(١) غريب الحديث: جـ١، ص٣٧٥.

(٢) ينظر بغية الرائد: ص١٥٤.

(٣) إرشاد الساري: جـ٨، ص٩٠.

الشهوة الجامحة، لزواجه منها، ولكم كانت أم زرع دقيقة فى عبارتها حين شبهت هذين الولدين بالفهدين حيث يتجه التشبيه إلى ما فى الفهد من الوثوب، وكثرة الحركة التى تتفق وحركة هذين الولدين، وقولها: «يلعبان من تحت خصرها برمانتين، كلام أخذ من مفسرى الحديث جدلاً كثيراً، حول المقصود منه. فأكثرهم يقول إن الرمانتين تعبير حقيقى لا مجازى، وأن المرأة كانت إذا استلقت، نبا الكفل بها عن الأرض، حتى تصير تحتها فجوة، تجرى فيها الرمان، وقال أبو عبيد: "وبعض الناس يذهب بالرمانتين، إلى أنهما الثديان، وليس هذا موضعه[1] "ولقد فند القاضى عياض رأى أبى عبيد هذا، ورجح أن تكون الرمانتان مجازا عن الثديين، لا حقيقة لأن هناك من الروايات الأخرى ما يشير إلى ذلك، كرواية «تحت صدرها» أو «من تحت درعها» كما أن العادة - وما زال الكلام للقاضى عياض - لم تجر بأن تستلقى المرأة، على هذا النحو ليلعب صبيانها بالرمان من تحتها، والناس يشاهدون ذلك المنظر، ثم قال «والأشبه أنها رمانتا النهدين شبهها. كذلك لنهودها ودل ذلك على صغرها»[2] ولله دره فقوله القول، وهو يتفق كثيراً مع وصف الشعراء العرب للنهدين بأنهما كالرمان، ومن ذلك قول الشاعر ابن خفاجه: **فكأنما ينفض عن حبب لها رمان صدرك.**

وأيضًا قول العباس بن الأحنف[3].

---

(١) ينظر الفائق: جـ٣، ص٥٤، غريب الحديث: جـ١، ص٣٧٥، ٣٧٦.

(٢) إكمال المعلم: جـ٧، ص٤٦٨.

(٣) الأسطوانه الألفية للشعرا العربى الحاسب الآلى.

جال الوشاح على قضيب زانه

رمان صدر ليس يقطف ناهد

وأنا امرؤ حلو الشمائل همتي

في قطف رمان الثدي النهد

والتعبير بالرمانتين في كلام أم زرع جاء على سبيل الاستعارة التصريحية، الأصلية وليس على سبيل التشبيه، أما إطلاق أهل الحديث عليه تشبيها فمن باب التسامح والتساهل لا غير، وهذه الاستعارة تنبيء عن صغر عمر تلك المرأة، وأنها لم تترهل، وهذا ما يستنبط من تلك الاستعارة وهذا ما عناه أهل الحديث[1].

ثم استطردت أم زرع تحكي عما حدث لها بعد ذلك، فتقول: «فطلقني ونكحها فنكحت بعد رجلاً سريا إلخ، والمتأمل في هذه الجمل يجد فيها عنصر السرعة والتتابع لأحداثها المفاجئة، فالفاء العاطفة في الفعلين: «فطلقني» فنكحت» دالة على توالي الأحداث بغتة، دون توقع، وذلك بلا شك له أثر ساحر، في إحداث المتعة والإثارة لدى المتلقي، ولا سيما وهذه الأحداث جاءت على شكل السرد القصصي، ففيها الشخصيات والسرد والحكاية، ومثل هذا يحتاج إلى تنوع في الأسلوب لإثرائه وخصوبته ومما لا ريب فيه أن الشخصية المحورية، في تلك الواقعة القصصية، هي أم زرع وزوجها، وبقية الشخصيات تعد مكملة وثانوية في هذا العمل ومن أجل ذلك كان لتنوع الأسلوب أثر في نفس القارىء.

---

(١) بغية الرائد: ص١٥٩.

ومن الملاحظ أن عطف الفعل «نكحها» جاء بالواو، وأما عطف الفعل الثاني «نكحت» جاء بالفاء، وذلك هو المنتظر؛ لأن نكاح المرأة الأخرى جاء هادئًا مريحا لم يأخذ عناء منه، بعد أن طلق أم زرع، فجاء تابعا لفعل الطلاق، الذى جاء بسرعة، أما نكاح أم زرع من الزوج الثاني فقد أخذ سرعة لها مدلول خاص إذ إن أم زرع لو لم تعطف هذا الفعل بالفاء، بعد طلاق أبى زرع لها لكان فى ذلك تلميح إلى أنها مكثت مدة لم تتزوج، ومن ثم فهي غير مرغوب فيها، ومن ذا يرغب فى مطلقة رجل كأبى زرع، فى مروءته وجداه؟ ومن هنا جاء العطف بالفاء، فى الفعل الأخير «فنكحت» للإشارة إلى أنها امرأة مرغوب فى نكاحها، وكان الراغبين فى زواجها كانوا يتربصون لحظة طلاقها للتزوج بها، وتلك علامة على أنها ذات خلق رفيع، يعرفها القاصى والدانى، وليس شأنها مجهولاً ولا مغموراً ومثلها يتلقفها أهل اليسار، وأولو المروءة والندى ولذلك كشفت النقاب عن ذلك الزوج، وأسفرت عن جاهه، وعزه وثرائه وإكرامه لها وحظوتها فى كنفه، حتى تبين أنها ليست من هؤلاء المطلقات اللاتى إذا سرحن، يتكففن الزواج وبستجدينه ويتعطفن قلوب الرجال، وإنما هى من صنف غال نفيس من النساء يتملكن قلوب الرجال حتى يود كل ذى لب وخلق، أن تكون له زوج كأم زرع، فالرجل الذى نكحها بعد أبى زرع، ليس مهملاً فى الرجال، ولا مجهول القدر، إنما هو كأبى زرع، بل أبر بها منه، و أكرم نوالاً وحبا، تقول عنه «فنكحت بعده رجلاً سريا ركب شريا، وأخذ خطيا وأراح على نعما ثريا» فالرجل من سراة القوم، وأشرافهم مقدام فى الحرب مفعم بيته بالثراء والغنى، وتغيير الحياة من

زوج إلى آخر، عند أم زرع، تطلب منها تغييرا لمجرى الكلام، ونمط الأسلوب، فالمرأة قد انتقلت من رجل، لآخر، وتبدلت حياتها، ومن ثم نرى الفاصلة قد تغيرت هى الأخرى ليشاكل الجرس فى السجع، المقام الذى تغير، وقد نوهت على ذلك التنوع وماله من إثراء سابقا[1] فأم زرع عندما أرادت أن تلفت الذهن إلى الكلام الجديد، وأن تشده شدا، غيرت من السجعة ليكون فى الكلام جدة تتناسب مع الجديد فى ا لمعنى فالباء المضعفة والألف المطلقة تتناسب مع المعنى الذى تروده أم زرع، وكلمة «سريا» أى رجلاً عظيما من سراة القوم، و«شريا» أى: جواداً من خيار الجياد يمضى بلا فتور ولا كسل، و«خطيا» أى: رمحا، وقد سمى خطيا؛ لأنه يأتى من بلاد يقال لها الخط ناحية البحرين، يقول الهروى: «وإنما أصل الرماح من الهند، ولكنها تحمل إلى الخط فى البحر، ثم تفرق منها فى البلاد»[2] وقولها: «وأراح على نعما ثريا» المقصود بالنعم بفتح النون: الإبل خاصة، أو المواشى عامة، وهى من الأشياء التى يزهو بها العربى القديم، إذ كانت عماد ثروته، أو هى بكسر النون ولكن الأشهر هو الفتح[3]. وإذا ما عدنا إلى العبارات الثلاثة، وجدنا الكناية بارزة فى قولها: «ركب شريا» فهى لا ترمى إلى ذات اللفظ وحده، دون لازمه، وما لازمه إلا كون زوجها هذا كميا، فارسا، مغوارا، ليس بالمغموط فى دنيا الشجاعة، وحسبها أنها تؤكد المعنى، بذلك الدليل القوى على فروسية صاحبها، بما ترمز إليها، وهو

---

(١) ينظر: ص١٢٣٧.

(٢) غريب الحديث: جـ١، ص٣٧٦.

(٣) فتح البارى: جـ٩، ص١٨٤.

كونه يركب الجواد المضمر، وكذلك الكناية في قوله: وأخذ خطيا»، فما دام قد أخذ الرمح الخطي، فهو بلا مراء من أهل الجلاد والقوة، وعطف هذه على سابقتها، من مؤكدات المعاني، وتقريرها في النفوس، حتى لا يقال إنه يركب الشرى من الجياد، لكنه مظهر بلا جوهر، فاردفت تلك الكناية بكناية اخرى، تزيل ما قد يعلق بالذهن من ظنون، فها هو ذا يأخذ الخطي، ومن كان كذلك، لا مناص ان يكون من أهل الحرب والقتال والإطناب واضح في العبارات، وهو أمر لابد منه، في مقام المديح والفخر، وهو من المقامات التي تستدعي ذلك الفن[1]، وابن رشيق - رحمه الله - في كتابه «العمدة» يبين أن مسلك الشاعر إذا مدح ملكا أن يسلك طريق الإيضاح، والإشادة بذكره للممدوح، ثم يذكر في موضع آخر أن جريرا أوصى ابن ابنه عمارة قائلاً: «يا بني إذا مدحتم فلا تطيلوا الممادحة، فإنه ينسى أولها، ولا يحفظ آخرها، وإذا هجوتم فخالفوا ويقول أيضًا عن الفخر إنه كالمديح»[2] والحق أن ليس في كلام ابن رشيق تناقض بين فصول كلامه، فإنه لا يعني بالتطويل الإطناب، بل يعني الإسهاب غير المفيد، وإلا فإن مقام المديح والفخر، كالهجاء، تماما يستدعيان من الأديب بسط الكلام، طالما أن المقام يقتضي ذلك، ويبين أستاذنا الدكتور فوزي في حديثه عن الجاحظ وموقفه من الإطناب «أن المدار عنده على

(١) ينظر دراسات في المعاني في ضوء النظم القرآني: ص١٧٦، للأستاذ الدكتور فوزي السيد عبد ربه.

(٢) ينظر العمدة: جـ٢، ص١٢٨، ١٤٣.

المطابقة ـ أى المطابقة لمقتضى الحال ـ فإذا كان الموضع للإطناب حسن الإكثار والإسهاب»[1] وهذا لب القضية.

ثم طفقت تقول: «وأعطانى من كل رائحة زوجا» وفى رواية لمسلم من كل ذا بحة، بدلاً من رائحة أى من كل ما يجوز ذبحه من الإبل، والبقر، والغنم، وغيرها، وهى فاعلة بمعنى مفعوله»[2].

والمقصود بالرائحة: هو المقصود بالذابحة، فمعناهما واحد، والزوج بمعنى الاثنين، ويحتمل أنها أرادت صنفا، لأن الزوج كما يطلق على الاثنين، يطلق كذلك على الصنف، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ [الواقعة:٧] وقد يطلق على الفرد لكنه إذا ثنى قيل زوجان[3]. وهذا أيضًا نوع من الإطناب، محمود لا مذموم، فهى فى مقام الفخر بصنيع هذا الزوج معها، تبسط الكلام، لتدل على احتفائه بها، وحظوتها لديه، ومثل هذا الإطناب يملى على السامع أن الواجب اللازب على أم زرع، إزاء هذا التكريم، أن تعطيه كل قلبها، وألا يكون لها علقة من وجدانها بأبى زرع، وقد طلقها، لكنها صدقت فى كلامها، ولم تتنكب جانب الوفاء، بما تعاهدت عليه، هى وصويحباتها ومن ثم آثرت الصدق كل الصدق، فصرحت وجهرت بأن قلبها لم يزل عالقا بأبى زرع لا سواه.

وأما قولها بعد ذلك: «وقال كلى أم زرع وميرى أهلك» فالأمر فيها

---

(١) المقاييس البلاغية عند الجاحظ فى البيان والتبين د. فوزى السيد عبد ربه: ص٢٥١.

(٢) ينظر صحيح مسلم: جـ٨، ص٢٣٨.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم: جـ٧، ص٤٦٩.

للإباحة، وأم زرع منادى، محذوف فيه حرف النداء، للدلالة على شدة قربها من قلبه، وشدة وده لها، وعطف الفعل «ميرى» على الفعل «كلى»، للدلالة على سخائه وفضله، فلم يكتف هذا الزوج بإباحة الأكل لها كيفما شاءت، وإنما أباح لها أن تطعم أهلها، كذلك وأن تحبوهم بما لديها من طعام، والميرة كما يقول الراغب: هى الطعام يمتاره الإنسان[1]، وفى القرآن الكريم ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ [يوسف: ٦٥] والكلام كسابقه، مبنى على الإطناب، والتوسع، فى الكلام لأن المقام مقام المديح، والثناء على ذلك الزوج يقتضى ذلك ولولا هذا ما عرف فيه ذلك الكرم، وتلك الأريحية.

ثم نأتى إلى النهاية، وهى بيت القصيد، وواسطة العقد فى الحديث ولباب القضية فيه، فتقول بكل صراحة وصدق: «فلو جمعت كل شىء أعطانيه، ما بلغ أصغر آنية أبى زرع» إن هذه الزوجة أم زرع، تكشف عن سويداء قلبها بلا مين ولا التواء، وتقول بملء فيها إنها لو جمعت كل شىء أعطاه لها هذا الزوج، ما بلغ فى الشأن والمنزلة أصغر ما عند أبى زرع، من أوان؛ لأن حب أبى زرع المتمكن منها أنساها كل الرجال، «وبغض إليها الناس بعده» كما يقول القاضى عياض[2] ويعلل ابن حجر لذلك الحب الكامن فى قلبها لأبى زرع بأنه «كان أول زواجها، فسكنت محبته فى قلبها، كما قيل ما الحب إلا للحبيب الأول[3] والعبارة تتجه إلى معناها الكنائى، وهذا أظهر وأقوى فى بلوغ

(١) مفردات الراغب: ص٤٧٩.

(٢) بغية الرائد: ص١٦٤.

(٣) فتح البارى: جـ٩، ص١٨٤.

المعنى المنشود؛ لأنها تريد من ورائها بيان شدة حبها لأبى زرع، وأنها لا تفتأ تهيم فى حبه، غير حافلة بأى شيء سواه، ومن ثم توصلت إلى هذا المعنى عن طريق تلك الكناية والعبارة فيها مبالغة طريفة، جميلة استخدم فيها حرف الشرط الدال على الامتناع، والمقابلة ما بين «كل شيء» فى عمومه، وعظمته، وما بين «أصغر آنية أبى زرع» ليبوح التعبير بذلك الحب الدفين فى قلبها، لذلك الزوج الأول برغم جنايته عليها بالطلاق إلا أن الحب الصادق يعبر جسور الكراهية المظلمة، ويجتاب دجاها، إلى حيث إشراق الحب، وضحوته فى القلوب ومن هنا قال القاضى عياض إن أولى الرأى كرهوا تزويج امرأة لها زوج طلقها لميل نفسها إليه، وقالوا لا تتزوج حنانة، ولا أنانة ولا منانة» والحنانة من كان لها زوج سابق، أو من لها ولد ممن طلقها، فهى مشتغلة به حنانة إليه، والأنانة: الكثيرة الأمراض فلا يصفو العيش معها والمنانة: التى لها مال تمن به على زوجها[1].

وجاء تعليق النبى ﷺ على عائشة حين انتهت من رواية هذا الحديث الطويل جامعًا مانعا، يدل على ما أوتيه ﷺ من الحكمة وفصل الخطاب، حيث قال: «كنت لك كأبى زرع لأم زرع» هكذا تكون جوامع كلمه ـ صلوات الله عليه ـ فى إيجاز عز نظيره، ومعان ثرة تنضوى فى لفائفه، وعبارة الرسول ﷺ فيها «كان» التى اختلف فيها الشراح ما بين زيادتها، أو عدم زيادتها، فالذين قالوا إنها زائدة قالوا إن معناها: أنا لك كأبى زرع لأم زرع». كما فى قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ

(١) بغية الرائد: ص١٦٤ بتصرف.

أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وفي قوله تعالى: ﴿أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النمل: ٢٧] ويحتمل أن تكون على بابها وليست زائدة ومعناها: كنت لك في سابق علم الله، وقضائه، كأبي زرع لأم زرع، في إحسانه لها، ومحبتها فيه، وفيها وجه ثالث، يتصل بالثاني، كشف عنه القاضي عياض أن «كان» جاءت على بابها ولكن يراد بها الاتصال أي كنت لك، فيما مضى من صحبتي لك، وعشرتي إياك، كأبي زرع وأنا كذلك لا أتبدل عنه»[1] لكن الإمام القسطلاني يعترض على زيادة «كان» قائلاً: «وهذا فيه شيء، لأن كان لا تدل على الانقطاع، ولا على الدوام، فليس في هذا الكلام ما يقتضي انقطاع هذه الصفة، فلا دعوى إلى زيادة كان»[2] وهذا هو الأرجح في نظري والتشبيه الذي جاء في هذه العبارة النبوية طبق المفصل ورغم أن وجه الشبه لا يتعدى المراد منه، من الألفة، والوفاء، لا في الفرقة، والخلاء، كما يقول الإمام البغوي[3]؛ لأن المقام لا يحتمل إلا ذلك الوجه، من حيث قائله، والمخاطب به، ولا يتعداه إلى العموم في وجه الشبه؛ لأن أبا زرع رغم إحسانه لزوجه أم زرع، وحبها له، إلا أنه طلقها، ومن ثم لا يعمم وجه الشبه، حتى لا يتضارب مع المقام، الذي سيق فيه الكلام، وكلام النبوة ليس ككلام البشر، في كل شيء، لأن الكلام الأول، كان يعتمد على فطنة السامع، وإحساسه الصادق، فكان الكلام يلقى على عواهنه؛ لثقة المتحدث أن المخاطب سيتلقاه

---

(١) ينظر بغية الرائد: ص١٦٨، ص١٦٩، إكمال المعلم: جـ٧، ص٤٧٠.

(٢) إرشاد الساري: جـ٨، ص٩١.

(٣) شرح السنة: جـ٩، ص١٨٠، فتح الباري: جـ٩، ص١٨٥.

على النحو المرجو، ولو جرى مثل هذا الكلام فى عصرنا، لأخذ عليه هذا المأخذ، ولقيل إن فى التشبيه خطلا، حيث إن وجه الشبه عام، وهو أمر مشكل، يؤدى إلى محذور، ومع هذا كله فإن رواية الزبير فيها زيادة قوله ﷺ: «إلا أنه طلقها وإنى لا أطلقك» وزاد النسائى والطبرانى على ذلك أيضًا قالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ : «يا رسول الله بل أنت خير من أبى زرع» ولله در ابن حجر، فى تعليقه على هذا كله، إذ يقول: «وكأنه ﷺ قال ذلك تطييبًا لها، وطمأنينة لقلبها، ودفعا لإيهام عموم التشبيه، بجملة أحوال أبى زرع، إذ لم يكن فيه ما تذمه النساء، سوى ذلك»[1] ومع أن المقام مقام القائل والمخاطب لا يجعل للإيهام بعموم التشبيه مكانا، إلا أن رواية الزبير السابقة، وما فيها من زيادة، تعد فى باب البلاغة من باب التكميل، والاحتراس، لأنه «هو التوقى والاحتراز عن الشىء وفيه توقى عن إيهام خلاف المقصود»[2] وقد احترز رسول الله صلوات الله عليه حسب رواية الزبير مما قد يتوهم من عموم التشبيه ووضع التشبيه فى محله وموقعه وهذا كلام حف بالعصمة، وشيد بالتأييد ويسر بالتوفيق وهو الكلام الذى ألقى الله عليه المحبة وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة»[3].

---

(١) فتح البارى: جـ٩، ص١٨٥.

(٢) المطول: ص٢٩٥.

(٣) البيان والتبيين للجاحظ: جـ٢، ص١٧.

الخاتمة

وفى خاتمة هذا البحث، أود أن أسجل ما عن لى من ملاحظات، وما أراه جديراً بالتلخيص لهذا الحديث، العظيم الفريد فى بابه وهى كما يلى:

١ـ القراءة البلاغية لهذا الحديث جعلتنى مبهوراً أمام تلك البلاغة العالية لهؤلاء النسوة وبخاصة أنهن نتاج مجتمع أمى قل أن نجد فيه قلما يسطر وعقلا يملى.

٢ـ البلاغة مثل اللغة، تحيا بالممارسة، وتموت بالهجر والإهمال، تحيا إذا صارت كالنهر المتدفق، تغذو وتروى، وتموت إذا غاضت منابعها، وجفت زهورها وصارت حدائقها هشيما تذروه الرياح، ومن ثم كانت بلاغة هؤلاء النسوة، شارة على حيوية اللغة، ومعايشتها للناس، فى كل ناحية من مناحى المجتمع، كما تدل بلاغتهن على شيوع هذه اللغة وآدابها فى طبقات المجتمع كله، فليست هذه البلاغة بلاغة نخبة من صفوة المجتمع، وإنما اجتمعن للبحث عن أحوالهن، ومكاشفة بعضهن لبعض عن خبايا البيوت، وأسرار الرجال.

٣ـ جاءت ألفاظهن على الذروة من اللغة، ولا يكدر صفوها ما بدر من بعضهن من ألفاظ تعد غريبة، على أسماعنا فى عصرنا هذا وتعوزنا إلى مصاحبة المعاجم، وتعاطيها، كالعشنق، والتنقيث، والتعشيش، لكنها وإن اغتربت لدينا، فإنها فى عصرهن كانت متداولة، مفهومة لم تشكُ واحدة منهن انغلاقها عليها.

٤ـ يستشعر القارىء للحديث، أن النسوة جميعهن، ماهرات فى فنون القول، ليس فى كلام واحدة منهن حشو، ولا فضول، ولا نجد فيه لغوا من القول وزورا، وتنوعت عبارات كل واحدة، حسب المقام والحال ما بين مادحة لزوجها، أو قالية له ذامة، ومن ثم اختلفت العبارات، كذلك جاء اختلافها حسب المقام، ما بين الإطناب، والإيجاز.

٥ـ تعد الصور البيانية من تشبيه، ومجاز وكنايه عاملاً مشتركا بينهن جميعًا لكن مع اختلاف فمنهن المقلة منها ومنهن المكثرة، لكن الكناية كان لها النصيب الأوفر، بين أخواتها من الصور البيانية، وذلك لأن الكناية تقى من الحرج، وتساعد على عدم التصريح، بمراد المرأة دون كشف ولا إعلان، ربما يوقع المرأة فى محظور تريد الابتعاد عنه والنجاء بنفسها من تبعاته.

٦ـ وكذلك جاءت المحسنات البديعية، قاسما مشتركا بينهن، ولا سيما السجع الذى لم تخل منه عبارة لواحدة منهن، وذلك لشيوعه بين الآداب العربية القديمة، وكان وروده فى الكلام مظهراً من مظاهر الفحولة فى البلاغة، والتمكن والاستعلاء فى آدابها، ومع ذلك لم تتكلفه واحدة منهن، وإنما سرى كالماء عذبا صافيا، لا كدرة فيه، وجرى مع الطبع سهلاً ريقا، دونما كد أو نصب، ولا شك أن ا لسجع ـ مهما قيل فيه ـ مرآة للبراعة الأدبية، ودليل لا يرد على ملكة مقتدرة، إن انطلق مع النفس، وجاء عن سجية وطبع.

وأخيراً أرى مثلما رأى علماؤنا المستبحرون فى العلم، أن هذا الحديث يعد مرآة كاشفة للعلاقات الاجتماعية التى كانت تهيمن على البيوت العربية آنذاك، والتى كان للرجل فيها سطوة وسلطان فمقاليد الأمور كلها فى محيط الأسرة بيده، ومن هنا يجلو الحديث دخائل المرأة العربية ويكشف عن أفراحها وأتراحها، وعما يسرها من زوجها، وعما يحمسها عليه، وليس من السهل - كما تبوح به مسألة أم زرع بالذات - أن يخفى الحب الصادق من القلب، ما دام الصدق دثاره، والوفاء قرينه، ولقد أورد الإمام البخارى هذا الحديث، فى باب عشرة النساء كمنهاج واضح للمسلم لا يحيص عنه، فيه ترغيب وحث على الاقتداء بالنبى ﷺ الذى أبان حسن عشرته للنساء، فى قوله لعائشة تعليقا على ما سمعه من هذا الحديث «أنا لك كأبى زرع لأم زرع إلا انى لا أطلقك».

وذلك خير برهان، يفحم تلك الخشارة من الحقدة على الإسلام، الذين يرون أن الإسلام غمط المرأة، وقهرها، وألغى كيانها، كيف وقد أعلن أنه لنسائه خير من أبى زرع لأم زرع؟ وأريد أن أقول إن تعليق الرسول ﷺ هذا: ليس فحواه الاقتصار عليه وحده، وإن كان ظاهر الأسلوب يشى بذلك، لكن رسول الله صلوات الله عليه يرمز إلى أبعد من ذلك وكأنه يقول إن كانت رحم الجاهلية قد أنجبت رجلاً كأبى زرع فى خيره، فإن فيه نقصا وثلمة لا يسدها إلا الإسلام الذى أربى على كل خير فى أى حضارة كانت أو تكون ومن المحال أن نجد هذه المثالية فى التعامل مع النساء إلا فى كنف الإسلام، وستظل حضارة

الإسلام تجاهى كل الحضارات بما قدمت للمرأة وما أسبغته عليها من تكريم وتوقير فضلاً عن الحقوق التى نالتها على يديه، والتى تتمنى حضارة الغرب الحديثة أن تكون لها، وسيظل التاريخ يذكر ما قاله رسول الله ﷺ فى آخر عهده بالدنيا فى خطبة الوداع «استوصوا بالنساء خيراً»[1] ولتعلم الدنيا أن «من حدود الله التى لا يجوز إلغاؤها، أن احتقار المرأة وهضمها، من معالم الجاهلية الأولى، والله يقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٨] درجة رياسة البيت ويظهر أن البعض لا يفهم الرياسة إلا استعلاء وهضما[2].

ولله الحمد والمنة وهو المستعان فى كل حال

د. عبد الله عبد الخالق محمد

• • •

(١) سيرة ابن هشام: جـ٤، ص١٤٦٠.

(٢) كنوز السنة للشيخ محمد الغزالى: ص١٦١، ١٦٢.

المراجع والمصادر

١ـ القرآن الكريم.

٢ـ إرشاد السارى لشرح صحيح البخارى: للعلامة القسطلانى ـ المطبعة الأميرية ببولاق، ١٣٠٤هـ.

٣ـ أسرار البلاغة: للشيخ عبد القاهر الجرجانى ـ دار المعرفة ببيروت ـ لبنان.

٤ـ الأسوانة الألفية للشعر العربى: الحاسب الآلى.

٥ـ الأطول: للعلامة العصام ـ المطبعة العامرية، ١٢٨٤هـ.

٦ـ إكمال المعلم بفوائد مسلم: للحافظ أبى الفضيل عياض بن موسى ـ دار الوفاء للطباعة والنشر ـ المنصوره طبعة أولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٧ـ بغية الإيضاح: للشيخ عبد المتعال الصعيدى ـ مكتبة الآداب ـ الطبعة السابعة.

٨ـ بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد: للقاضى عياض ـ دار الفرقان ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

٩ـ البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى: د. محمد محمد أبو موسى ـ مكتبة وهبه الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١٠ـ البيان والتبين: للجاحظ ـ دار الجيل.

١١ـ التبيان فى علم المعانى والبديع والبيان: للإمام الطيبى ـ مكتبة النهضة العربية الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١٢ـ تحرير التحبير: لابن أبى الإصبع المصرى ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

١٣ـ جواهر البلاغة: للشيخ أحمد الهاشمى ـ دار الفكر بيروت ـ الطبعة الثانية عشرة.

١٤ـ حاشية الإمبابى على الرسالة البيانية: المطبعة الأميرية الطبعة الأولى ١٣١٥هـ.

١٥ـ دراسات فى المعانى فى ضوء النظم القرآنى: د. فوزى السيد عبد ربه، ١٤١٨هـ/١٩٩٨.

١٦ـ سيرة ابن هشام: دار الفكر للطباعة والنشر.

١٧ـ شرح السنة: للإمام البغوى ـ المكتب الإسلامى.

١٨ـ شرح صحيح البخارى: للكرمانى ـ دار إحياء التراث العربى ـ لبنان طبعة ثانية، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

١٩ـ شرح المختصر: لسعد الدين التفتازانى ـ المطبعة المحمودية التجارية بالأزهر ١٣٥٦هـ.

٢٠ـ صحيح مسلم: للإمام النووى ـ دار الحديث طبعة أولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٢١ـ الطراز: للعلوى اليمنى: المكتبة العلمية ـ الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٢٢ـ عروس الأفراح من شروح التلخيص: المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣١٨هـ.

٢٣ـ **علم البيان:** د. بدوى طبانة ـ مكتبة الانجلو.

٢٤ـ **العمدة:** لابن رشيق القيروانى – دار الجيل للنشر والتوزيع ـ الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٢٥ـ **عمدة القارى شرح صحيح البخارى:** للإمام العينى ـ دار إحياء التراث العربى ـ بيروت ـ لبنان.

٢٦ـ **غريب الحديث:** لابن سلام الهروى ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٢٧ـ **الفائق فى غريب الحديث:** للزمخشرى ـ عيسى البابى الحلبى ـ الطبعة الأولى.

٢٨ـ **فتح البارى لشرح صحيح البخارى:** للإمام ابن حجر ـ المكتبة السلفية ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.

٢٩ـ **فن التشبيه:** للاستاذ على الجندى ـ مكتبة الانجلو الطبعة الثانية، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

٣٠ـ **كتاب الصناعتين:** لأبى هلال العسكرى ـ دار الكتب العلمية ـ ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٣١ـ **الكشاف للزمخشرى:** المكتبة التجارية الطبعة الأولى، ١٣٥٤هـ.

٣٢ـ **كنوز السنة:** للشيخ محمد الغزالى ـ دار نهضة مصر للطباعة والنشر ـ رقم الإيداع ٩٦٩٨ / ٩٩.

٣٣ـ **لزوميات أبى العلاء المعرى:** رؤية نقدية بلاغية د. إبراهيم الخولى ـ الشركة العربية للطباعة والنشر ـ ١٩٩٣م.

٣٤ـ لسان العرب: لابن منظور ـ طبعة دار المعارف.

٣٥ـ المطول: لسعد الدين التفتازاني ـ مطبعة احمد كامل ـ ١٣٣٠هـ.

٣٦ـ المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهاني ـ دار الخلود للتراث.

٣٧ـ المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبين: د. فوزى السيد عبد ربه ـ دار الثقافة للنشر والتوزيع ـ ١٩٨٣م.

المحتويات

الموضوع	اسم الباحث	رقم الصفحة من	رقم الصفحة إلى
• ثانيا: أبحاث قسم الشريعة الإسلامية •			
١. قضية الحكم بغير ما أنزل الله عز وجل.	د. أحمد محمود كريمه	٦٥٣	٧٣٠
٢. الأحكام الفقهية للأعمال الفنية اليدوية.	د. محمد السيد عبد الرازق السيد إبراهيم الطبطباني	٧٣١	٧٧٠
٣. القرض وأحكامه في الفقه الإسلامي.	د. عبد الله بن صالح الزير	٧٧١	٩٣٦
٤. بيان الحكم الشرعي لأنواع من الأنكحة المعاصرة النكاح العرفي، النكاح السر بصوره (الوشم، الكاسيت، الطوابع، نكاح الزوج فرند).	د. عبد الله بن عيضة المالكي	٩٣٧	٩٩٠
٥. الخطبة والآثار الشرعية المترتبة عليها.	د. فتحية محمود محمد الحنفي	٩٩١	١١٤٦
• ثالثا: أبحاث قسم اللغة العربية •			
١. القياس وأثره في اللغة.	د. رمضان محمود محمد محمد	١١٤٩	١١٩٨
٢. بلاغة التضاد في حديث أم زرع في الصحيحين «دراسة تحليلية تطبيقية».	د. عبد الله عبد الخالق محمد دسوقي	١١٩٩	١٢٦٨